98/13
Fac.LLT.ENG

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ :

دور الإنسان في انجاز الحضارة عند مالك بن نبي

إعداد الطالبتين:

- بن جراد عمارية
- دليل شريفة

تحت إشراف:

سيدي محمد غيثري

السنة الجامعية:

2013/2012

TAS_953_59/01

دعاء

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليأس إذا فشلت بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح.

يا رب علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة و أن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف

يا رب إذا جردتني من المال أترك لي الأمل و إذا جردتني من النجاح أترك لي قوة العناد حتى أتغلب على الفشل و إذا جردتني من نعمة الصحة أترك لي نعمة الإيمان

يا رب إذا أسأت إلى الناس أعطيني شجاعة الاعتذار و إذا أساء الناس إلي أعطيني شجاعة العفو

يا رب إذا نسيتك فلا تنساني

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعاننا على كتابة هذا البحث وانجازه وصلى الله وسلم على عبده المصطفى الذي بذكره تتم الصالحات وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)**.

فإننا نتوجه بالشكر لكل من كان عونا لنا في انجاز هذا البحث وإتمامه على هذه الصورة التي نرجو أن تكون مرضية.

ونخص بالشكر الأستاذ **غيثري سيدي محمد** على هذه الرسالة، لما قام به من قراءة ومتابعة وتوجيه رغم ضيق وقته، وكثرة أشغاله ولما اتّسم به من سعة الصّدر والأفق، فله من الثواب الجزيل.

كما نتقدّم بعظيم الشكر لكل الإخوة الذين وقفوا بجانبنا أثناء إعدادنا بحثنا.

اهداء

إلى من حملت همّي، وأبكاها ألمي، إلى من أشرقت الدنيا ببسمتها، إلى من أغرقني فضلها (**أمّي**).

إلى من علمني الصبر والإخلاص في القول والعمل، إلى من بنى أحلامه على آمالنا، إلى من أنار لنا سبيل العلم، إلى (**أبي العزيز**).

إلى اللّواتي لم يبخلن عليّ بكثير دعائهن أخواتي: **منال و فاطمة وخيرة والبرعم هبة الرحمن.**

إلى الذّين ملكوني عبدا حين علّموني حروفا من نور (**أساتذتي**) خاصة **الأستاذ المشرف.**

إلى صديقاتي: **آمال و فتيحة وشريفة ونورية وسهيلة ورحيمة وحنان.**

إلى محبّي القرآن واللغة العربية.

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي

عمارية

www.chemweb.net

إهداء

أهدي ثمرة عملي إلى قرّة عيني وسندي أمّي أمّي أمّي

والى الذي كان ولازال قائد دربي والذي أدين له طول

عمري والدي الحبيب.....والى أخي وصديقي

مراد والى محمد وياسين.....إلى حبيباتي نور الهدى،

ندى ، خيرة وزوجها عدّة وابنهما الصغير حسام.

إلى جدي وجدتي والى عمي محمد والى كل عماتي

وخاصة فاطمة .....والى كل عائلة دليل وبوخيرة

وبرابح ومرضي ومامويي والى الأستاذ المحترم الدكتور

لخضر شريط والى كل صديقاتي خاصة عمارية– فتيحة–

آمال– هوارية– فاطمة الزهراء– خيرة– نورة– حبـ

والى أصدقائي عبد الحكيم أرسلان ورضا والى

كل من ساندني وكان لي عضدا

ولو بكلمة طيبة.

شريفة

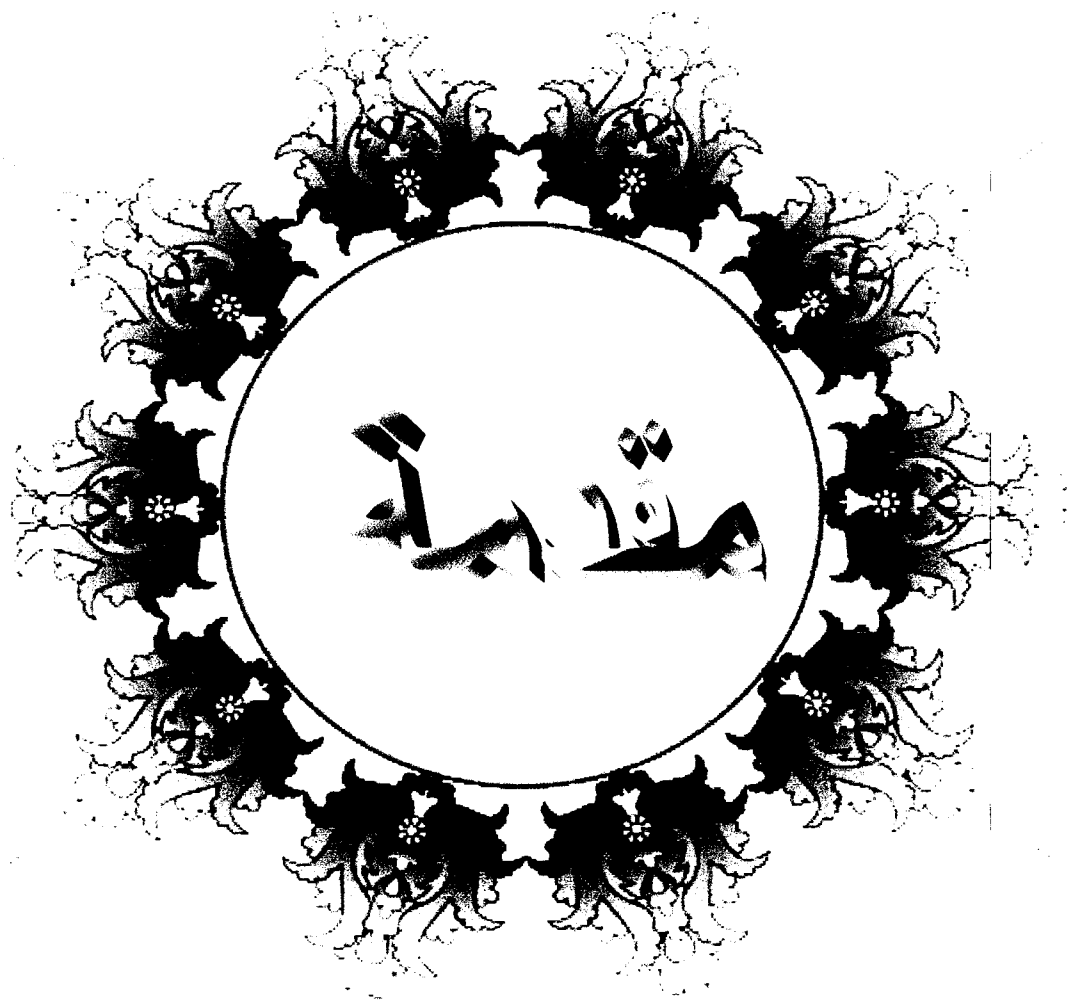
مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمّدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وبعد:

فقد كثرت الأبحاث والدراسات حول شخصيات كثير من المفكّرين والدعاة الذين عاشوا في القرن العشرين، وله قلة لم ينالوا حظّهم من الدراسة والبحث، ومن هؤلاء المفكّر الجزائري مالك بن نبي، على الرغم مما له من ريادة في إثارة العديد من القضايا الفكرية ومشكلاتها.

وقد كان له في كل ذلك أطروحاته وأفكاره التحليلية والتشخيصية المميزة ومصطلحاته الخاصة التي شاعت في السنوات الأخيرة على ألسنة الكثير من المفكرين والكتاب.

إن الدارس لفكر مالك بن نبي سيكتشف انه – دون معاصريه من المفكرين المسلمين – قد أولى اهتماما كبيرا و عميقا للإنسان المسلم، متابعا في ذلك علله ونقائصه ومحلّلا أبعاد الظّواهر والمشكلات التي تحيط به، ومقترحا الحلول في إطار إسلامي واضح وإجمالا كان بن نبي في فكره ووعيه يشكّل بمفرده مدرسة قائمة بذاتها.

وقد وقع اختيارنا على موضوع (**دور الإنسان في انجاز الحضارة عند مالك بن نبي**) ليكون مجال بحثنا ودراستنا في مرحلة الماستر تخصص (**حضارة عربية إسلامية**)، واخترنا الكتابة فيه للأسباب التالية :

– يعدّ مالك بن نبي من أهم مصادر الفكر الحضاري، ومن حقّ الناشئة أن تستفيد من أفكاره الواعية، وان تأخذ العبر والدروس من صفحات حياته وجهاده وسيرته.

– إن مالك بن نبي رائد في ميدان الفكر الإسلامي، ورائد في ميدان الصبر على الابتلاء في مواجهة التحدّي والفتن، بذل حياته في سبيل نشر الفكر الإسلامي، ومواجهة الفكر الغربي.

وعلى الرغم من جهود الباحثين في تناول فكر مالك بن نبي، بالدراسة والتحليل فانه يبقى في حاجة إلى مزيد من الدراسات في مجال العلوم الإنسانية.

وإذا كان لابد من ذكر بعض الجهود التي تناولت فكر مالك فإننا نسرد منها ما يلي:

– مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا لأسعد السّحمراني .

– مالك بن نبي رجل الحضارة: مسيرته وعطاؤه الفكري لمولود عويمر .

– صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي لعبد اللطيف عبادة.

– التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي لنورة خالد السّعد .

– المدخل إلى فكر مالك بن نبي لأحمد بناسي.

– مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة لابن براهيم الطيّب .

وإذا كان مالك بن نبي من الذين اعتنوا بدراسة الحضارة فاحتلت مكانة جوهرية في نظريته الاجتماعية إن لم نقل إنها الإشكالية التي يتحرّك في حدودها كل تفكيره، فماهو تصوره لمفهوم الحضارة ؟ وعناصرها ؟

وإذا كان الإنسان هو العنصر الفعال في بناء الحضارة عند مالك بن نبي، فماهي نظرته له ؟ ودوره في الحضارة ؟

ومن اجل دراسة هذا الموضوع اعتمدنا على منهجين : الوصفي والتحليلي وذلك من خلال طرح مختلف المفاهيم المتعلّقة بعناصر البحث ووصفها بشكل تحليلي يساعد على توضيح محدّدات البحث وتبسيطها وحتى نتمكّن من ضبط الأطروحة وسعيا منّا لبلوغ التسلسل في الأفكار، قسّمنا بحثنا إلى مقدّمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة .

فقد تناول المدخل ماهية الحضارة، أما الفصل الأول الموسم ب" مالك بن نبي حياته وآثاره " فقد تطرّقنا فيه أولا إلى ترجمة لحياة مالك بن نبي بمراحلها فصّلناها بالدراسة إلى مرحلة الطفولة والمرحلة الباريسية والمرحلة القاهرية ومرحلة العودة إلى الجزائر، وثانيا تحدّثنا عن أهم آثاره ومؤلّفاته أما ثالثا عرضنا ابرز أقوال العلماء فيه .

وجاء الفصل الثاني الموسوم ب" المشارب الحضارية لمالك بن نبي "، تناولنا أولا الثقافة العربية الإسلامية، وثانيا الثقافة الغربية.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان " مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي " فقد تعرضنا أولا: لمفهوم الحضارة، وتطرّقنا ثانيا إلى عناصرها، أما ثالثا: الدين وعناصر الحضارة.

وانتهى البحث بخاتمة أجملت أهم النتائج المتوصّل إليها.

لكن كأي بحث فقد اعترضتنا عدّة صعوبات لعلّ أبرزها قلة الوقت بسبب كثرة المشاغل، ضف إلى ذلك شحّ الكتب التي بين يدينا، وصعوبة الوصول إليها في مواطنها، وغيرها.....

لذا فقد نجد في هذا البحث بعض الأخطاء، أو اختصارا في مواضع تتطلب إطنابا، أو العكس و هذه – بلا ريب – سمات البشر، قال تعالى﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْد غَيْرِ اللَه لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[1]

وأستغفر الله مما طغى به القلم أو زلّ به الفكر، على انه قد قيل: ليس من الدخل أن يطغى قلم الإنسان، فانه لا يكاد يسلم منه أحد، قال ابن الأثير في المثل السائر:

لَيْسَ الفَاضِلِ مَنْ لَا يَغْلَطْ بَلْ الفَاضِلُ مَنْ يُعِدْ غَلَطَه

بن ***جراد عمارية***

دليل شريفة

2013/06/01

[1] سورة النساء: الآية82.

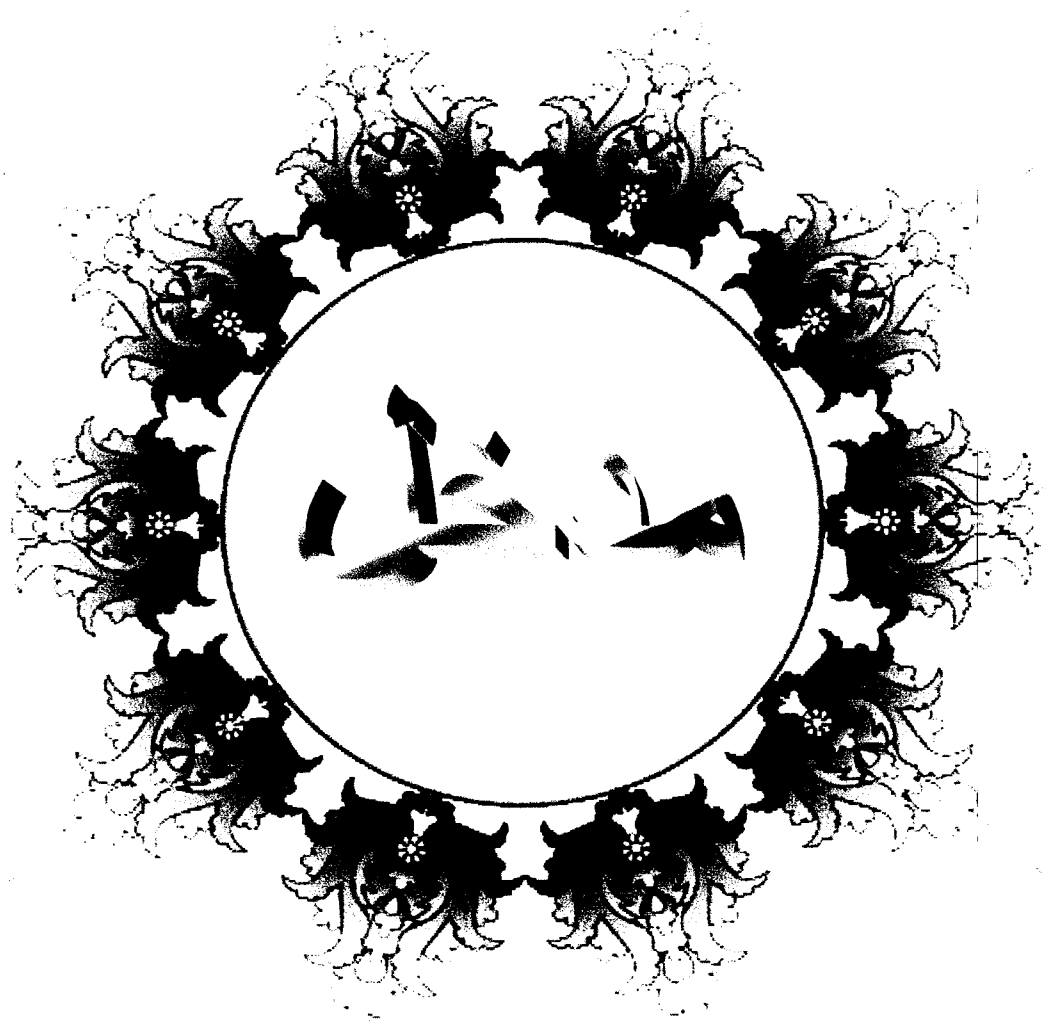

إن موضوع الحضارة موضوع متفرع ومتشعب فيه أراء ومدارس، وقد تعرضت كلمة **(حضارة)** عبر التاريخ إلى التطور و التغيير، واختلف معناها بين مدرسة وأخرى، ويعد مفهومها من الإشكاليات التي تعددت حولها النظريات ومن القضايا التي درسها العديد من المفكرين و الفلاسفة، حيث بحثوا في أسباب نشأة الحضارات وتطورها وانهيارها ، وكشفوا عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تلحقها .

ويعتبر مالك بن نبي من المفكرين الذين اعتنوا بدراسة الحضارة، فقد احتلت مكانة جوهرية في نظريته الاجتماعية، إن لم نقل إنها الإشكالية الأساسية التي يتحرك في حدودها كل تفكيره، يقول **محمد عبد السلام** :«لقد عاشت فكرة الحضارة في عقله ووجدانه، وشغلت تفكيره في كل كتاباته إلى درجة نستطيع أن نقول معها إنّ الفكر الإسلامي المعاصر لم يشهد تقريبا مفكرا شغلته قضية الحضارة مثل مالك بن نبي، الذي يعتبر شخصية فكرية خصبة جديرة بالدراسة ، وهو المفكر الذي يهتم بالجانب الحضاري وفلسفة التاريخ والاجتماع، وشغلته مشكلات أمّته فعالجها بروح موضوعية»[1]

.

التعريف اللغوي للحضارة :

تعرف كلمة حضارة في معجم اللغة كما يلي: الحضارة ضد البداوة، والإقامة في الحضر«اخص من ذلك» الطباع المكتسبة من المعيشة في الحضر، وأطلق مجتمع مصر اسم الحضارة على ما يسمى

[1]- زكي ميلاد: مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دراسة تحليلية ونقدية، دار الفكر، ط1، 1998م، ص73 .

بالفرنسية « Civilisation »، واسم التحضير و التمدن على ما يسمى بالانجليزية « Urbanisation» [1] .

وفي المعجم الوسيط: الحضارة هي الإقامة في الحضر ، قال **القطامي** :

ومن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا

والحضارة مظهر من مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر[2] .

وفي دائرة معارف القرن العشرين: الحضارة خلاف البداوة، الإقامة في الحضر، وهي كلمة مرادفة:« مدنية»[3].

والمدنية كلمة مشتقة من مدن المدائن أي مصرها وبناها، ونحتوا منها فعل (تمدن) وجعلوا معناها تخلق بأخلاق أهل المدن وخرج من حالة البداوة، ودخل في حالة الحضارة [4] .

وللمدنية اليوم معنى أوسع مما مرّ، فإنها في عرف الاجتماعيين تعني الحالة الراقية التي توجد عليها الأمم تحت تأثير العلوم و الفنون الجميلة و الصنائع المناسبة لهذه الحالة، فاكتسبت كلمة المدنية

[1] -الشيخ احمد رضا:معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، ج2، بيروت ،1958 ،ص111.

[2] - إبراهيم مصطفى، احمد الزيات : المعجم الوسيط، دار الدعوة، ص180

[3] - محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثامن، بيروت، دار المعارف، ط3 ، ص553 .

[4] - ينظر:المصدر السابق، ص553

بذلك مدلولا اعم من مدلولها اللغوي واعتبرت غاية تندرج الأمم في الوصول إلى أوجّها الأعلى تحت تأثير العلوم والفنون والصنائع [1].

وفي المعجم الفلسفي: الحضارة في اللغة هي الإقامة في الحضر، بخلاف البداوة، وهي الإقامة في البوادي.

ويقول **جميل صليبا** في المعجم نفسه:« ومع أنّ استعمال هذا اللفظ قديم، فان أول من أطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر هو ابن خلدون،ففرّق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة، في الوجود، فالبداوة أصل الحضارة والبدو أقدم من الحضر، وإذا كانت البداوة أصل الحضارة، فان الحضارة غاية البداوة ونهاية العمران »[2] .

أما في الغرب فان كلمة حضارة، تذكر إحدى الموسوعات الفرنسية الكبرى «ليست عريقة الاستعمال» حتى أن قاموس الأكاديمية لم يتضمنها إلا ابتداء من 1835 ، وهي تقابل عكس كلمة توحش أو همجية، وتواصل نفس الموسوعة بأن هذا اللفظ بالرغم من تداوله يبقى معناه غامضا ويصعب تعريفه تعريفا جيدا ولعلّ تعريف ليتري (Littré) لها هو أوضح وأدق من غيره فهو يقول:

« الحضارة هي مجموع الآراء و العادات والتقاليد، التي تنتج من الفعل المتبادل للفنون الصناعية والدين والفنون الجميلة والعلوم»[3] .

---

[1]-آمنة تشيكو:مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و أرنولد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989،(د.ط)، ص18.

[2]-جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج1، بيروت 1971 ،ص475 – 476 .

[3]- آمنة تشيكو:مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي ، ص 18

وتنتهي تلك الموسوعة إن الحضارة «هي ما في الحياة الاجتماعية المنظمة من مجموع العناصر التي وفرت للإنسانية تفوقها على بقية الكائنات الحيوانية وسيطرتها على الأرض» ، وما تاريخ الحضارة إلا تاريخ الحياة الباطنية للإنسانية في تطورها المادي و الفكري في مقابلة التاريخ السياسي القديم الذي يعطي للأفراد الاعتبار الأول، وقد ظهر هذا المفهوم الجديد في القرن الثامن عشر على يد «مونتسيكيو» و «فولتير» و «جيبون» و «هردر» ، وفي القرن التاسع عشر غلى يد «كليم» و «بوكل» ، والعلماء الذين استمدوا آراءهم من نظريات الدار ويندية .

التعريف الإصلاحي الحديث للحضارة :

للحضارة عند المحدثين معنيان:أحدهما موضوعي والآخر ذاتي مجرّد.

أ – المعنى الموضوعي : هو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدّم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة، تقول الحضارة الصينية والحضارة الأوربية ، وهي بهذا المعنى متفاوتة فما بينها، ولكل حضارة نطاقها، وطبقاتها ولغاتها، فنطاقها هو حدودها الجغرافية، وطبقاتها آثارها المتراكمة بعضها فوق بعض في مجتمع واحد، أو عدة مجتمعات ولغاتها هي الأداة الصالحة للتعبير عن الأفكار السياسية والتاريخية والعلمية والفلسفية[1] .

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 19.

ب- المعنى الذاتي المجرّد: أما الحضارة بهذا المعنى فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش أو تطلق على الصور الغائبة التي تستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة فإذا كان الفرد متّصفا بالأخلاق الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائبة قلنا انه متحضر، وكذلك الجماعات فان تحضّرها متفاوت بحسب قربها في هذه الصورة الغائبة، أو بعدها عنها ومع أنّ الصورة الغائبة للحضارات مختلفة باختلاف الزّمان والمكان، فانّ اختلافها لا يمنع من اشتراكها في عناصر واحدة، وتتألف هذه العناصر في زماننا من التقدم العلمي والتقني وانتشار أسباب الرّفاه المادي ، وعقلانية التنظيم الاجتماعي، والميل إلى القيم الروحية، والخصال الأخلاقية .

فالكلام على الحضارة بهذا المعنى لا يخلو من التقويم والتقدير، أي من الحكم على الحضارات بنسبتها إلى المثل العليا المتصورة في الأذهان، ويدل تطور مثل

هذه المثل العليا على اتجاهها إلى الاشتراك في عناصر متشابهة، لسرعة انتقال الأفكار و الأشياء من إقليم حضاري إلى آخر[1] .

والحضارة بمعنى ما مرادفة للثقافة، إلا أن هذين اللفظين لا يدلان عند العلماء على معنى واحد، فبعضهم يطلق لفظ الحضارة على تنمية العقل والذوق وبعضهم يطلقه على نتيجة هذه التنمية أي على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات، وكذلك لفظ الحضارة، فان بعضهم يطلقه غلى اكتساب الخصال الحميدة، وبعضهم يطلقه على نتيجة هذا الاكتساب، أي على حالة من الرقي والتقدم، في حياة المجتمع بكاملها، وإذا كان العلماء بعضهم يطلق لفظ الثقافة على

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 20 .

المظاهر الماديّة، ولفظ الحضارة على المظاهر العقلية والأدبية، فانّ بعضهم الأخر يذهب إلى عكس ذلك[1] .

وخير وسيلة لتحديد معنى كل من هذين اللفظين إطلاق لفظ الثقافة غلى مظاهر التقدم العقلي وحده، وهي ذات طابع فردي وإطلاق لفظ الحضارة على مظاهر التقدم العقلي و المادي معا وهي ذات طابع اجتماعي[2] .

إنّ مفهوم الحضارة قديم قدم الإنسان وتاريخه، فلا حضارة بدون إنسان ولا إنسان بدون تاريخ، والحضارة بعض من التاريخ، ولا حضارة بدون تاريخ، فلكل حضارة تاريخها، لكل إنسان حضارته وكلما تفاوت الإنسان بين البدائية والتطور تفاوت تاريخه وحضارته[3] .

فالتاريخ نفسه هو تعبير حضاري بغضّ النّظر عما يحتويه من سلبيات وايجابيات وازدهار وانحطاط في مختلف مراحله، فهو تعبير إنساني عن سيرة الإنسان وآثاره.

والحضارة كذلك هي تعبير إنساني، ولكن بلغة أخرى أكثر واقعية وتجسيدا، وهي الوجه الآخر للإنسان، والمرآة العاكسة له، وجهاز لقياس قوته وضعفه.

فانّ الحضارة كالإنسان مادة و روح، فلا توازن لها في حالة غياب احد عنصريها

---

[1]- المرجع نفسه، ص20.

[2]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، ص476-477.

[3]- ابن براهيم الطيب: مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ، دار مدني ،ص53.

عن الآخر، فلا توازن لوجود الجانب الروحي دون الجانب المادي، كما لا ينفع وجود هيكلها مجرّدا من روحها. والحضارة مولود إنساني سواء ولد سليما أو مشوّها متوازنا أو فاقدا لتوازنه .[1]

لقد عرفت الشعوب و الأمم الحضارة منذ القدم وعبّرت عن مظاهرها وأبرزتها بأشكال وألوان مادية ومعنوية مختلفة، تختلف من مجتمع لآخر ومن عصر لآخر. وفي جميع الحضارات التي عرفتها البشرية كان الإنسان هو المحور الرئيسي الذي يدور حوله كل نشاط حضاري، ويستقطب الأحداث التاريخية، انّه الكائن الوحيد الذي يعبّر تعبيرا حضاريا مادّيّا ومعنويا بلغة البناء والنحت و الرسم و الشعر و المسرح و اللباس، وكل إبداع فهو تعبير حضاري .

إن الحضارة هي نسيج مركّب اجتماعيا و ثقافيّا وفكريّا ونفسيّا و دينيّا و اقتصاديّا، وهي شديدة التعقيد والتّداخل، والإنسان دوما هو عنكبوت نسيجها الحضاري،

فالحضارة هي إبداع إنساني لخدمة الإنسان وتلبية حاجياته ورغباته، وتوفير الراحة والسّعادة والرّخاء له [2] .

إن الحضارة تراث إنساني للمسيرة الإنسانية شاركت فيه جميع شعوب وأمم العالم بنسب متفاوتة وظهرت في مواقع جغرافية مختلفة، وبين أجناس وأعراق متباينة، واختلفت مدّة بقائها واندثارها من حضارة لأخرى.

[1]-ينظر: المرجع السابق، ص53.

[2]-ينظر: المرجع السابق، ص54.

لقد ذكر الفيلسوف والمؤرخ البريطاني **أرنولد توينبي** (1889-1975) إن التاريخ عرف منذ القدم إلى اليوم ستة وعشرين حضارة، أبرزها إحدى و عشرين حضارة لم يبق منها إلا خمس حضارات هي: الحضارة المسيحية الغربية، الحضارة المسيحية الشرقية، الحضارة الإسلامية، الحضارة الهندية، حضارة الشرق الأقصى، وقد اختلفت أعمار هذه الحضارات كما اختلفت شعوبها وأماكنها ودياناتها وألسنتها[1] .

إذن فالحضارة منتوج إنساني، والعكس غير صحيح، والتعبير الحضاري له أشكال وصور وألوان، تختلف أو تتّحدّ من مكان لآخر ومن امة لأخرى ، فالحضارة تعبير إنساني، والتعبير الإنساني يختلف من إنسان لآخر كما يختلف التعبير اللغوي من إنسان لآخر، وليس من لغة لأخرى فقط، بل يختلف التعبير الإنساني حتى في اللغة الواحدة من إنسان لآخر، ولكن الكل يعبّر عن نفس الغاية حتى وان عبّر عنها بتعابير ولغات مختلفة، وكذلك بالنسبة للتعبير الحضاري سواء كان شرقيّا أو غربيّا .

فالذي لا يستطيع أن يعبّر تعبيرا حضاريا فهو معاق إعاقة حضارية، فالفرد المعاق لغويا أيسر من الفرد المعاق حضاريا، والإعاقة الحضارية هي اهلك وأبشع أنواع الإعاقة بالنسبة للشعوب والأمم، والأمة المعاقة حضاريا هي أخزى أنواع الأمم.

فالإعاقة الحضارية هي عدم التعبير والمشاركة في المسيرة والحركة الحضارية الإنسانية، وهناك يكون نوع من العجز والمرض المزمن الذي يمنع التعبير والمشاركة، وبالتالي يصبح ذلك الشعب أو تلك الأمة

[1] – آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي ، ص70.

المعاقة حضاريا تعيش عالة على حضارة غيرها كما يعيش بعض الأفراد عالة على عائلاتهم وبعض شرائح المجتمع عالة على مجتمعهم[1].

إذا أردنا تعريف الحضارة فلا نجد لها تعريفا واحدا موحدا وشاملا، بل نجد لها عدّة تعاريف متنوّعة ومتعدّدة، تعكس مدى تعقيد موضوعها وعمق أفكارها وصعوبة الإحاطة بها، أنها كائن غريب ومعقّد تشبه في بعض تعقيداتها و مجاهلها الإنسان الذي كلما حاول العارفون معرفته ازدادوا عنه بعدا وتساؤلا، انه فعلا الإنسان ذلك المجهول كما قال عنه **الكسيس كاريل** . أما الحضارة فهي ليس الإنسان وحده، بل هي الإنسان ونتيجة جهده ماديّا ومعنويا، فدراسة الإنسان دون دراسة جهده أو العكس، فهذا ليس معناه دراسة للحضارة، ومن هذا التركيب كان تعقيد الموضوع،

وكان للحضارة أكثر من تعريف قد تتفق في المعنى وتختلف في التعبير.

فكما سبق وأن أشرنا، إلى أنّ لفظ الحضارة قديم قدم التاريخ الحضاري، وكان للكلمة استعمال شائع في أدبيات التاريخ وعمومياته كوصف تاريخي لمراحل تاريخية، وليس كظاهرة اجتماعية وتاريخية معينة، أو كمصطلح علمي محدّد[2] .

فمالك بن نبي يرى إن أول استعمال وتفسير الواقعة الاجتماعية في إطار ظاهرة معينة هي «الحضارة» كان في القرن التاسع عشر[3].

---

[1]-ابن براهيم الطيب:مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ،ص56.

[2]- ينظر: المرجع السابق، ص56.

[3]- مالك بن نبي:شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصّبور شاهين، دمشق، دار الفكر،1986،ص62.

إذن يظهر إن أول تناول علمي للظاهرة الحضارية كان وليد القرن التاسع عشر.

بدأت الحضارة تعرّف على المستوى الاجتماعي واللغوي والفكري في المجامع والقواميس، واهتم بها اللغويون و المفكّرون.

أما المفكّرون و المؤرّخون فيعرّفون الحضارة بتعاريف لا تعدّ، بحيث لا نجد تعريفا واحدا اتفق عليه بعض المفكّرون، إذ ذهب كل يجتهد بتعريف خاص ينسب له وكل هذه التعاريف تقريبية ونسبية قابلة للزّيادة والنقصان كما هي قابلة للقبول أو الرّد، ونحاول هنا أن نورد بعض التعاريف التي قد تكون أهميتها جزء من مكانة أصحابها من علماء ومفكرين.

يقول الدكتور **حسين مؤنس** في كتابه «الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها» الحضارة هي : « ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثّمرة مقصودا أو غير مقصود سواء كانت الثمرة مادية أو معنوية »[1] .

ويعرف **تايلور** الحضارة قائلا: «إنها ذلك الكل المركّب الذّي يحتوي على المعرفة والمعتقد والفن، والخلقيات، والقانون والعادة، وكل قدرات واعتيادية أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع »[2] .

ويعرف **شبنجلر** الحضارة قائلا عنها: «إن الحضارة هي نفس بلغت التعبير عن ذاتها بأشكال محسوسة ومعقولة، لكن هذه الإشكالية هي حية متفتّحة وولود ويوجد رحمها داخل الكينونة المصعدة

[1] – حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطوّرها، ط2 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1998، ص15.

[2] – محمد رياض: الإنسان دراسة النوع والحضارة، ط2، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1974، ص184.

للأفراد والجماعات..... ليست الحضارة شيئا عظيما فقط، بل إنها شيء لا يمتثله أي شيء آخر في هذا العالم العضوي، فهذه النقطة الواحدة يسمو عندها الإنسان بنفسه فوق الطبيعة ويصبح هو نفسه خالقا»[1]

أما **ارنولد توينبي** فيوغل في البحث والتفتيش عن معرفة البداية الأولى للحضارة وتاريخ ظهورها الأول، لكنه لا يبحث عنها في صفحة الطبيعة وما بها من آثار للإنسان، بل يبحث عنها في عمق الإنسان خالق الحضارة، كما قال شبنجلر آنفا.

إذ يقول توينبي في كتابه «البشر وأمهم الأرض» :«إن وعي الإنسان لنفسه أو ميلاد ما يسمى بالضمير يعتبر تاريخ بداية حضارة الإنسان أو بداية وجوده كمخلوق متميّز بنفسه عن سائر الحيوان وقادر على صنع الحضارة ومدرك لبعض القيم الإنسانية[2] .

فالحضارة عند توينبي تبدأ في الإنسان في بداية تحضّره ، وتحضّر الإنسان لنفسه يكون قبل أن يحضر محيطه وغيره، وفاقد الشيء لا يعطيه، فمن لا يكون متحضرا لا يحضر غيره، فالحضارة هي بداية تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات بما فيهم بنو جنسه من وعي بالنفس وصحوة ضمير وإدراك للقيم، من هذا تكون بداية الحضارة في نظر توينبي المثالي[3] .

---

[1]-ابن براهيم الطيب: مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ،ص59.

[2]- حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ،ص94.

[3]-ابن براهيم الطيب: مالك بن نبي وابن خلدون، مواقف وأفكار مشتركة ،ص53.

إن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يرتقي ويعمل على تحسين أحوال نفسه بفضل ما انعم الخالق المبدع سبحانه وتعالى من نعمة العقل التي تمكنه من التفكير واختزان المعلومات والربط بينها والإفادة منها، فكل أجناس البشر متحضرة وما من جماعة أو امّة إلا ولها حضارتها والفرق في المستويات، فالجماعات البدائية والقبائل الرّحّل وحتّى سكان المناطق المنعزلة لها مستواها الحضاري .

فالحضارة إذن صفة للإنسان بوجه عام وهي التي تميّزه عن مجتمع الحيوان[1] .

ويعرف **ابن خلدون** الحضارة قائلا:« الحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله»[2].

إن الشيء الرئيسي في الحضارة يكمن في إنتاج الإنسان، ككائن عاقل نشيط في كافة علاقاته الاجتماعية والتاريخية، ولكن الحضارة ليست مجرّد إنتاج للأشياء أو إنتاج للقيم الروحية بل إنتاجا للإنسان نفسه ككائن اجتماعي أي أنتجه بمجمل الوجود.

فالحضارة ليست مجرّد موضوعا للتأمل النظري وهي ليست مجموعة من المنجزات العلمية والتقنية والقيم الروحية فقط بل هي عنصر جوهري للحركة التاريخية وشرط ضروري لتطوير الإنسان ذاته

[1]- زكريا فؤاد: الإنسان والحضارة في العصر الصناعي، ط2، دار الترجمة، ص11.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1978، ص172-173.

ككائن اجتماعي. إن جوهر الحضارة يكمن لا في المخطّطات المقنّنة والبناءات الدوغماتية بل نشاط الإنسان المبدع والمحوّل للعالم[1]

وعندما تصبح الحضارة شرطا أساسيا لتغيير العالم المحيط من قبل الإنسان وتغيير الإنسان لنفسه تحصل الحضارة على قيمتها الإنسانية الحقيقية. فالحضارة تفترض جعل الإنسان شخصية مفكّرة حرّة مستقّلة وكائن عقلاني وبذلك يجب أن تشمل جميع أشكال وطرق هذا الوجود.

وفي الحضارة يثبت الإنسان نتائج تطوّره العقلي ووجوده ككائن اجتماعي، ولكن مهما كان التقدم التاريخي للحضارة فان نشوءها وتطورها لا يمكن فهمها فهما صحيحا بصورة منعزلة عن تاريخ تطوّر الإنسان نفسه بوصفه القوة المنتجة الرّئيسية للمجتمع[2] .

لقد تخلّد عقل الإنسان في انجازات رائعة للحضارة، وأخضع قوى الطبيعة ووضعها في خدمة البشرية. فامتلك الإنسان ناحية النار، واخترع الأدوات وتغلغل في أعماق الكون يفضّ أسراره، وخلق قيما مادية وروحية مدهشة، فالإنسان يبقى القوة المنتجة الرئيسية للمجتمع. فان أدوات العمل والآلات، ليست سوى جزء من قوى المنتجة، إذ تستحيل إمكانية قيام تلك الوسائل وغيرها من الأدوات بوظائفها دون العنصر الإنساني الذي يبعث الحياة، أما دونه فتبقى كل هذه الوسائل والأدوات موادا جامدة[3].

---

[1]- د.فيصل عباس:الفلسفة والإنسان، جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة، دار الفكر العربي، بيروت،،1996، ط1 ص10

[2]- ينظر: المرجع السابق، ص11.

[3]- المرجع نفسه ، ص11.

ويرتبط وجود الحضارة و تطورها ليس بالحتمية الإلهية، بل نشاط الإنسان نفسه ككائن عاقل حرّ و مسؤول. فعالم الحضارة هو عالم الإنسان نفسه الذي حلقه و طوره.

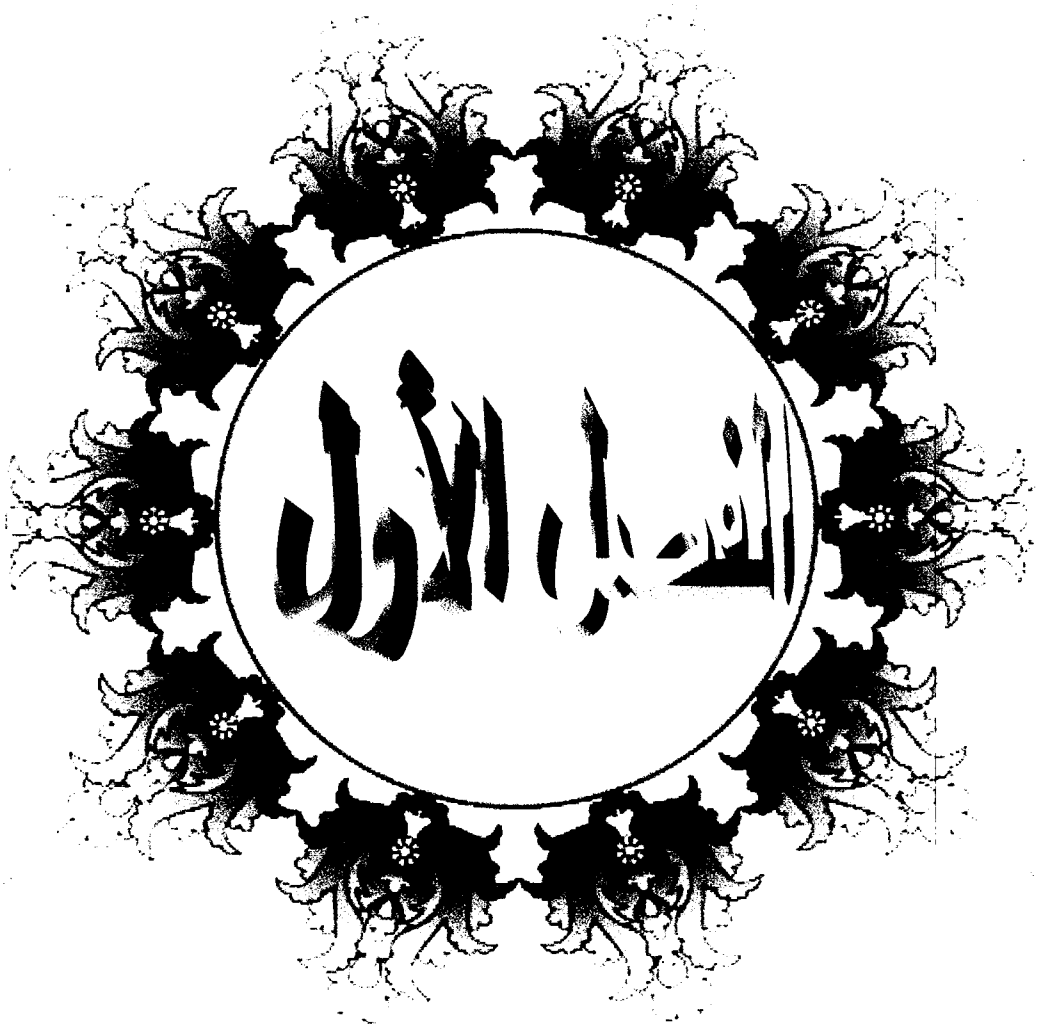
الفصل الأول

أولا: ترجمة حياته:

يعدّ مالك بن نبي واحدا من أعلام النهضة الإسلامية وابرز مفكر عني بالفكر الحضاري منذ ابن خلدون [1] ، وتزامن مع فترة تاريخية حاسمة تربط بين ماض عريق انطفأ نجمه ومستقبل لا يزال في بداية تشكله وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم حياة مالك بن نبي إلى أربعة أقسام هي :

– مرحلة الطفولة:(1905–1930):

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي، اشتهر باسم "مالك بن نبي" وكان يلقّب بالصّديق [2] ،ولد مفكرنا العظيم سنة1905م بمدينة قسنطينة حاضرة العلم والثقافة في القطر الجزائري [3] في أسرة متواضعة إذ كان أبوه يشتغل وظيفة "خوجة" لدى الإدارة المحلية في تبسه، كان وحيد أبويه من الذّكور ولذلك فقد كان محلّ عناية كبيرة منها وحتى من شقيقتيه وأتيح له أن يعيش طفولته في جوّ ديني في كل من قسنطينة وتبسه وينهل من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية المسيحية إذ التحق بالمدرسة القرآنية والمدرسة الرسمية الفرنسية.

وبعد رحيله إلى تبسه مع أفراد أسرته، يذكر مالك بن نبي انّه بدأ دراسته بداية طيّبة، وانّه نجح في شهادة الدروس الابتدائية بتفوّق كما فاز في امتحان الحصول على المنحة قصد متابعة دراسته في المرحلة التكميلية بقسنطينة في مدرسة (سيدي الميلي) وحقّق أمنية والديه في أن يصبح عدلا في الشرع

---

[1] – فهمي جدعان: نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى،دار الشروق، الأردن، ط1، 1985، ص132.

[2] – محمد العقبي: مالك بن نبي و موقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير، غزة، 2005، ص27.

[3] – آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي، ص66.

الإسلامي وبعد انقضاء أربع سنوات من الدراسة بالثانوية تخرّج مالك بن نبي سنة 1925م، بدأت مداركه تتسع وملاحظاته تزداد فتعرّف على الطريقة العيساوية بقسنطينة واطّلع على الأدب العربي والأدب الفرنسي[1].

واصبح همه الوحيد هو الحصول على شغل ليدفع عن نفسه وعن أسرته الفقر ونكبات الدّهر وحينما لم يفلح في مسعاه [2] قرّر بصحبة صديق له اسمه " قاواو " الاتجاه إلى فرنسا،وبعد جولة زار خلالها عدّة مدن فرنسية منها: باريس، ليون، ومرسيليا، ولم يوقف في الحصول على أي عمل عاد إلى الجزائر وستقر مالك بن نبي بمدينة تبسه واشتغل عونا بمحكمتها سنة 1927م ثم عيّن كاتبا في محكمة " آفلو" من السنة نفسها بعد ذلك انتقل إلى محكمة " شلغوم العيد " ليعمل بها وأمام مضايقات الاستعمار استقال ابن نبي من وظيفته و اشتغل مع صهره وشريك ثالث، وأقاموا طاحونة ليعملوا بها إلا انه فشل في تحقيق النجاح إذ صادفتهم الأزمة الاقتصادية سنة 1929م فلجأ إلى بيع الطاحونة والتخلي عن المشروع. عاد ابن نبي إلى قسنطينة وتعرّف لأول مرّة على "الشيخ عبد الحميد بن باديس" رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، وأمام حاجته للعمل وإلحاح والديه عليه بالسفر مرّة أخرى إلى فرنسا لم يجد خيارا وعزم الرّحيل[3] .

[1]- مالك بن نبي: مذكّرات شاهد للقرن، دار الفكر، لبنان، 1983م، ص24.

[2]- أحمد يناسي: المدخل إلى فكر مالك بن نبي، الجاحظية، الجزائر، ط1، 2006،ص14.

[3]- ابن براهيم الطيب:مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، ص40.

– المرحلة الباريسية (1930 – 1996) :

دخل كلية الهندسة في باريس، وتخرّج منها مهندسا كهربائيا سنة 1935م، إذ كانت خبراته العلمية تؤهله في النبوغ في المجال "التقني" لا المجال النظري .

عاش ابن نبي في عمق المجتمع الفرنسي ونظر إليه من الداخل في الوقت الذي كان الآخرون ينظرون إليه من الخارج فكان لزاما عليه ليس الحفاظ على الذات وعدم الذوبان فحسب، بل رفع التحدي والتصّدي للآخر بأفكاره[1] بكل ثقة، وفي خضمّ هذا الواقع الجديد قرّر الزّواج سنة1931م من فرنسية أسلمت وأصبحت كما يقول نعم الزّوجة ونعم العون له، ووفّرت له كل سل الراحة ممّا جعله يتفرّغ للنشاط مع زملائه من الطلبة ويتابع عن كثب نشاط الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر ويؤازرها من فرنسا ما استطاع وهذا ما حال دون توظيفه، وتحقيق أحلامه في الهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية. هكذا وجد مالك بن نبي نفسه وجها لوجه أمام أعاصير الاستعمار يقول : «كنت أعيش بباريس واحمل وحدي لواء الإصلاح في وجه العواصف والأعاصير التي يثيرها الاستعمار على خصومه»[2].

أخيرا احتار الفكر الحضاري وعكف على الدراسات الاجتماعية والفلسفة النقدية للحضارة الغربية والإسلامية وفي هذه الظروف تعرّف على شخصيات بارزة سياسية وثقافية منها: المستشرق الفرنسي

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص42.

[2]– عبد اللطيف عبادة: صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، باتنة، ط1، 1984، ص12.

" لويس ماسينيوس "[1]، وتقابل مع المهاتما الهندي سنة1932م أثناء زيارته لفرنسا وتعرّف على أفكار الكاتب اللبناني شكيب أرسلان، والتقى مع بعثة الأزهر بفرنسا وتعرّف عليهم وكذلك تقابل مع زعماء الوفد الجزائري الذي زار باريس سنه1932م بزعامة الشيخين عبد الحميد بن بأديس ومحمد البشير الإبراهيمي.

وهذه الأحداث واللقاءات والتحرّكات جعلته يقترب أكثر بإحساسه ونظره لمأساة بلده الجزائر ولمتغيرات العالم من حوله وما آل إليه الوضع العربي الإسلامي. كان مالك يرى إذ أن من الواجب مقاومة ما فرضه الاستعمار عليهم من هيمنة وقهر، في كل مجال نخصّصه وكان يؤمن بالتغيير الذاتي فجاءت صرخته موقظة لشعبه وفاضحة للمستعمر وجاءت أفكاره في كتبه معبّرة عن ضرورة التغيير[2] .

[1] – لويس ماسينيوس: من أشهر المستشرقين الفرنسيين في القرن العشرين، بلغت آثاره أكثر من 650وهو متّهم عند مالك بن نبي أكثر من موقف ، توفي سنة 1962.

[2] –ابن براهيم الطيب: مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، ص43.

– المرحلة القاهرية: (1956–1963) :

سافر مالك بن نبي إلى مصر في هذه الفترة، وكانت القاهرة مركز جذب هام للمفكرين والمثقفين وقلعة للدفاع عن القضايا القومية والإسلامية، والدعوة إلى التحدّر من الاستعمار الفرنسي والانجليزي على السّواء.

وجد في القاهرة الأرضية وموقع التغيير في العالم العربي الإسلامي، وبهذا نسج عدّة علاقات مكّنته من معرفة كثير من المفكّرين والعلماء المصريين، كما اصدر بها بعضا من كتبه واتّصل بالرئيس جمال عبد الناصر وقد خصّصت له الحكومة المصرية مرتّبا شهريّا ممّا ساعده للتّفرّغ للعمل الفكري و إتقان اللغة العربية، فكان يكتب ويحاضر بها وصار بيته فضاءا فكريّا وثقافيّا يقصده الطلبة من عرب ومسلمين يستمعون إلى أفكاره ويستفيدون من رؤيته لمسالة الإصلاح ومنهجية تغيير العالم الإسلامي .

و أثناء وجوده في القاهرة زار أكثر من مرّة سورية ولبنان لإلقاء المحاضرات والنّدوات حول الإصلاح والثّورة وكيفية مواجهة الاستعمار، كما شارك في عدّة مؤتمرات التي عقدت في السعودية، والكويت، وليبي، وغيرها.... ، وكان مالك بن نبي احذ مستشاري المؤتمر الإسلامي بالقاهرة، وفيها كانت اغني مراحل عطائه الفكري وفي مصر أيضا تعرّف على المحامي اللبناني "عمر كامل مسقاوي" .

– مرحلة العودة إلى الجزائر: (1963–1973):

عاد مالك بن نبي إلى الجزائر بعد استعادة حرّيتها وسيادتها عام1963م، فتبوّأ منصب مستشار التعليم العالي، فرئيس جامعة الجزائر، فمدير التعليم العالي.

لكنّه ما لبث حتى استقال من منصبه الأخير سنة1967م، ليتفرّغ للعمل الفكري والإصلاح وتنظيم الندوات الفكرية في بيته، كما كانت له رحلات مختلفة قادته إلى الصين حيث التقى مع زعيمها " ماوتسي تونغ " مطوّلا، والى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحج سنة1972م، وفي طريق ذهابه وعودته يتوقّف مالك بالكويت، وطرابلس، ودمشق لإلقاء المحاضرات، وعقد الحوارات الفكرية [1].

وفي دمشق ألقي المحاضرة بعنوان: "دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين" « وقد اعتبر البعض هذه المحاضرة وصيّته الأخيرة »[2].

وفي الفترة التي قضاها مالك في الجزائر ألف عدّة كتب منها: {آفاق جزائرية – مذكّرات شاهد للقرن (الطفل- الطالب) – المسلم في عالم الاقتصاد.....}[3].

وبعد عام واحد من أداء مالك بن نبي فريضة الحج، وأثناء رحلته إلى مدينة الأغواط في الجزائر، حيث كان يلقي بعض المحاضرات، هناك اشتدّ به المرض، "وكان قد أصيب بسرطان في البروستاتا سرى إلى

---

[1]– نورة خالد السّعد: التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دراسة في بناء النظرية الاجتماعية، دار السعودية (د.م)، ط1، 1997،ص29.

[2]–مالك بن نبي، مجالس دمشق: حول دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر، دمشق، ط2، 2006، ص9.

[3]– عبد اللطيف عبادة: صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، ص39.

الدّماغ عن طريق العمود الفقري"، فسافر إلى باريس للعلاج، فأجريت له عملية جراحية واستردّ بعدها صحّته نوعا ما لمدّة عشرين يوما، ثم اشتدّ عليه المرض، فنصحه الطبيب المعالج بان يعود إلى بلاده، فعادوا به إلى الجزائر[1]، وبعد ثمانية أيام توفي مالك بن نبي في 31اكتوبر1973م، عن عمر يناهز الثمانية والستين، تاركا وراءه نتاجا فكريّا متعدّدا[2].

[1]- نورة خالد السّعد: التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، ص29.

[2]- مولود عويمر: مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته وعطاؤه الفكري، دار الأمل، تيزي وزو،(د.ط)، 2007،ص50.

ثانيا: مؤلفاته:

لقد ألف أغلب كتبه باللغة الفرنسية، وبعضها باللغة العربية،ثم ترجمت الكتب التي كتبها بالفرنسية إلى العربية، وله ما يزيد عن عشرين كتابا مطبوعا، وقد طبع كثيرا منها في القاهرة ودمشق والجزائر،وله احد عشر مؤلفا مازال مخطوطا لم يطبع بعد، وسيقوم الباحث بتصنيف كتبه بحسب موضوعات :

– **الظاهرة القرآنية:** وقد كتبه باللغة الفرنسية، وقام بترجمته الدكتور "عبد الصبور شاهين" ونشرته دار القرآن الكريم، تحت رعاية الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية السالمية، الكويت، عام 1398هـ-1978م، وهو من القطع الصغير، وعدد صفحاته 323صفحة .

وفيه يدرس مالك مفهوم النبوة، وأصول الإسلام، والرسول، وظاهرة الوحي وقضايا تتعلق بالقرآن [1].

– **شروط النهضة:** نشر بدار الفكر، ط عام 1960م، وقام بترجمته "الدكتور عبد الصبور شاهين"، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 159صفحة.

يبين فيه مالك أهم شروط تركيب الحضارة، ويركّز فيه على الدور الذي تلعبه

الفكرة الدينية، كمركب من عناصر التاريخ، وكحقيقة يؤديها تاريخ الحضارات[2].

[1]– مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية

[2]– مالك بن نبي: شروط النهضة.

– **ميلاد مجتمع:** وقد قام بترجمته "الدكتور عبد الصبور شاهين"، نشر بدار الفكر، ط عام1962م، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 107صفحة، وهذه الدراسة تشمل منهجية المفاهيم النظرية، التي ترجع إليها العناصر التاريخية الخاصة "بميلاد مجتمع".

ويرى مالك أننا نريد أن نعطي للقارئ المسلم فرصة التأمل في هذه المرحلة من تاريخ المجتمع، حين يولد أو حين ينهض، وذلك عن طريق تمسّكه بالمبادئ التي شيدت البناء الحضاري الإسلامي[1] .

– **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي:** وقد قام بترجمته "محمد عبد العظيم عليّ"، نشر بدار الدعوة، ط عام1970م، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 71صفحة وطبعة أخرى، ترجمة "د.بسام بركة" و "د.احمد شعبو"، طبع بدار الفكر، الطبعة الأولى، عام1988م، عدد صفحاته 182صفحة.

ويرى مالك انّه لا يقدم في هذا الكتاب مشكلة الفكر في العالم الإسلامي، بل على العكس في هذا الكتاب يحاول إلقاء الضوء على معالمها وتركيبها الخاص، ولم يتناول فيه مشكلة الفكر في العالم الإسلامي[2] .

– **مشكلة الثقافة:** ترجمة "عبد الصّبور شاهين"، الطبعة الرابعة عام 1984م، وعدد صفحاته 152صفحة.

---

[1]– مالك بن نبي: ميلاد مجتمع.

[2]–مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي.

يتحدّث فيه عن مفهوم الثقافة، وعلاقتها بعلم الاجتماع وتوجيه الثقافة [1] .

– **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث:** نشرته مكتبة عمّار، القاهرة ط عام 1970م، وهو من القطع الصغير وعدد صفحاته62 صفحة.

ويرى مالك أن علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الفكر، حتى نتحقّق بذلك استقلالنا الاقتصادي و السياسي [2] .

– **آفاق جزائرية:** وقد نشرته مكتبة عمّار، الطبعة الثانية عام1971م القاهرة.

وهو مكوّن من ثلاث من محاضرات، يجمع بينها أنها ألقت جميعها في الجزائر، وهذه المحاضرات هي: مشكلة الحضارة، ومشكلة الثقافة، ومشكلة المفهومية [3] .

– **المسلم في عالم الاقتصاد:** وقد نشرته دار الفكر عام1972م، وعدد صفحاته 111صفحة، وهو من القطع المتوسط.

ويرى مالك أن المتخصّصين بالاقتصاد يوجهون العتاب أو اللوم إلى الفقهاء، ويرمونهم أحيانا بالجمود، ويجب أن ننزّه فقهاءنا عن هذا العتاب، ونقول: انّه ليس من اختصاصهم أن يدلّوا على

[1] – مالك بن نبي : مشكلة الثقافة .

[2] – مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث.

[3] – مالك بن نبي: آفاق جزائرية.

الحلول الاقتصادية سواء مستنبطة من القرآن والسّنة أو غير ذلك، وإنما اختصاصهم أن يقولوا في شان الحلول التي يراها أهل الاختصاص هل هي تطابق أو لا تطابق الشريعة الإسلامية [1].

– **بين الرّشاد والتّيه:** نشر دار الفكر عام1978م، وهو من القطع المتوسط وعدد صفحاته 174.وهو كتاب ضمّ مقالات كتبها الأستاذ مالك، ونشر معظمها في جريدة الثورة الإفريقية اثر عودته إلى الجزائر بعد الاستقلال في الستينات، وقد جمعها مالك في صيف 1982م، وترجمها إلى العربية، وهذه المقالات تعكس أحداث الستينات في العالم العربي والإسلامي، وهي تطرح مشاكل العالم الثالث بعد الاستقلال فسلّط عليها أضواء كاشفة تبرز إبعادها وتنير طريق الكفاح من اجل القضاء عليها[2] .

– **وجهة العالم الإسلامي:** وقام بترجمته "عبد الصبور شاهين"، نشر بدار الفكر عام1954م، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 173.يؤكد الأستاذ " محمد المبارك " في مقدمته للكتابان مالكا يبحث في المشكلات المشتركة للعالم الإسلامي بمجموعه، فيستعرض تاريخها منذ ظهور الإسلام والمراحل التي مرت بها ثم يقف بنا طويلا في المرحلة الحاضرة من مراحل الإنسانية ليدلّنا على هذه الرّقعة من العالم التي تمتد من مراكش إلى اندونيسيا، ويؤكّد مالك في صدر الكتاب إن صناعة العالم

[1]– مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد.

[2]– مالك بن نبي: بين الرّشاد والتيه.

الإسلامي لم تعد من مهمة المؤتمرات الخارجية، التي قعدت به إلى حين عن التطوّر والازدهار، وإنما من العمل الصامت المضني المنبعث من حركته الداخلية [1] .

– **تأملات:** وقد نشرته دار الفكر في دمشق عام1960م، وهو من القطع المتوسط وعدد صفحاته 215صفحة.

وهذا الكتاب صدر منه القسم الأول عام 1960م، تحت عنوان "حديث في البناء الجديد" الآخر صدر عام 1961م، تحت عنوان "تأملات في المجتمع العربي" ، ثمّ تم طبعه بحيث ضم الكتابين معا، لانّ مالك أراد أن يعطي لتأملاته شمولا يتلاءم مع نطاقها، فهو إذا تحدث عن المجتمع العربي يعالج الظواهر المرضية التي انتظمت العالم المتخلف من أقصاه إلى أقصاه، وإذا تحدث عن بناء جديد،

فإنما يبرز الحاجة إلى حضارة تنقل البلاد المتخلّف إلى مستوى المشاركة في مسيرة العالم، لذا سمّي بتأملات ، يدخل في نطاقها المجتمع العربي والإسلامي، كما العالم الإسلامي والعالم المتخلّف في عمومه [2] .

– **فكرة كمنويلث إسلامي:** وقد نشرته مكتبة عمّار، الطبعة الأولى عام1960م، ونشرته دار الفكر، والطبعة الثانية عام 1990م، من القطع المتوسط وعدد صفحاته 94صفحة.

يرى مالك في هذا الكتاب أن الكمنويلث الإسلامي ضرورة تاريخية، تدعو الشعوب الإسلامية إلى العودة إلى حلبة التاريخ، ولكن في صورة حضارة لا في صورة إمبراطورية ولا يكون مجرّد تنظيم سياسي

[1] –مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي.

[2] – مالك بن نبي: تأملات.

اقتصادي، نظرا لصورة جديدة لتوازن القوى في العالم، بل يجب أن يكون مع ذلك نظما أخلاقيا وإشعاعا روحيا لمواجهة الأزمة الاجتماعية، داخل العالم الإسلامي[1] .

– **في مهب المعركة:** وهو مجموعة مقالات كتبها "الأستاذ مالك" بعينات وبداية في باريس في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، وحينما لجأ إلى القاهرة عام1956م، بدا له أن يترجم هذه المقالات وينشرها بالعربية، فكانت الطبعة الأولى عام1961م، وقد سمى مجموعة المقالات هذه:«في مهب المعركة»باعتبارها إرهاصا للثورة الجزائرية وتسويغا لدوافعها ويرى "مالك" إن هده المقالات تتضمن هذه العناصر التي تكون مادة الصراع الفكري وواقعه اليومي، الواقع الذي يريد الاستعمار أن يسدل عليه ستارا من الظلام، حتى يقول الرأي العام في قيود لا يراها إلا بعين بصيرة [2] .

الصراع في البلاد المستعمرة: نشر بدار الفكر عام1960م، وعدد صفحاته 127صفحة، وهو أول كتاب لمالك بالعربية مباشرة يتناول فيه بعض المواقف الشخصية للكاتب في البلاد المستعمرة، كما يتحدّث فيه عن أوضاع تلك البلاد وعلاقتها بالاستعمار وأساليبه في السيطرة والغزو[3] .

– **الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ** : ويعتبر مالك أن مؤتمر باندونغ كان قطعا في نظر المختصين بالسياسة العالمية، من أهم الظواهر السياسية التي برزت في العالم الثالث بعد الحرب

[1]–مالك بن نبي: دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين.

[2]–مالك بن نبي: في مهب المعركة.

[3]–مالك بن نبي: الصراع في البلاد المستعمرة.

العالمية الثانية، وقد نشرته دار الفكر طبع عام1957م، وعدد صفحاته266، من القطع المتوسط [1]

.

– **مذكرات شاهد القرن:** ويتكون من جزأين : الجزء الأول بعنوان "الطفل" وقد ترجمه « مروان القنواتي »، والجزء الثاني بعنوان "الطالب" وقد ترجمه مالك بنفسه، نشر دار الفكر بيروت، الجزء الأول ط عام1969م، من القطع المتوسط والجزء الثاني بعنوان "الطالب" ط عام 1970م [2]

وله قصة أدبية بعنوان " لبيك " .

وتوجد كتب غير منشورة للأستاذ "مالك بن نبي"، وهي مازالت مخطوطات بخط يده ومنها:

– خطاب مفتوح لخروشوف وإيزنهاور.

– دولة مجتمع إسلامي.

– مذكرات شاهد القرن –القسم الثالث– بعنوان "الأستاذ".

– نموذج لمنهج ثوري.

– المشكلة اليهودية.

– العفن.

[1]–مالك بن نبي: الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ.

[2]–مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن.

– اليهودية أم النصرانية.

– دراسات حول النصرانية.

– مجالس دمشق .

– مجالس تفكير[1] .

ثالثا : أقوال العلماء فيه:

يقول الأستاذ الكبير "**محمود محمد شاكر**"[2] في مقدمة كتاب في مهب المعركة لمالك بن نبي:«لعلّي لا أبالغ إذا قلت: أن هده المجموعة من مقالات أخي الأستاذ مالك بن نبي، هي عندي من أنفس ما كتب، لأنها تكشف لنا عن فكر رجل خبير، فكّر في الأمور ساعة بعد ساعة، وقيّد هذا الفكر في حينه، فإذا نحن نرى أنفسنا في ضوء ما كتب قديما، كأننا لم نتقدم خطوة في فهم البلاء الذي ينزل بنا ولا يزال ينزل ..... فهذا المفكّر الخبير قد استطاع بحسن إدراكه وبقوة بيانه وبدقة ملاحظته، أن يفتح عيوننا على الخيوط التي تنسج منها حياتنا تحت ظلام دامس قد أطلقه المستعمر ليخفي عنّا مكره بنا وخداعه لنا»[3]

[1]– زكي ميلاد:مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، ص196.

[2]–محمود محمد شاكر: ولد عام1910م– وتوفي عام1997م، عالما باللغة العربية، له العديد من الكتب والمقالات منها: كتاب المتنبي، وكتاب أباطيل و أسمار.

[3]– مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي. ص11.

يقول الأستاذ "**محمد المبارك**" في مقدمة كتاب وجهة العالم الإسلامي لمالك بن نبي: « إن هذا الكتاب يكشف في مالك بن نبي عن مفكر كبير احتل بسرعة فائقة مكانه اللائق في طليعة العالم الإسلامي..... وهو في مجموع آثاره ليس مفكرا كبيرا صاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب، بل داعيا مؤمنا يجمع بين الفيلسوف ومنطقه، وحماسة الداعية المؤمن وقوّة شعوره..... فأنا لا أقول انه " ابن نبي" ولكني أقول انه ينهل من نفحات النبوة وينابيع الحقيقة الخالدة»[1]

ويقول الدكتور"**عبد العزيز الخالدي** في مقدمة شروط النهضة لمالك بن نبي: «وابن نبي ليس في الواقع محترفا، أو عاملا في مكتب مكبّا على أشياء خامدة من الورق والكلمات، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصّة، بمعنى الإنسان في صورتيه الخلقية والاجتماعية، وتأليف المؤلف كمهندس قد ساعده دون شك في التصوير الفني للأشياء ولكن ثقافته المزدوجة تسمح له بان يصل هذا التصوّر بالخطة الإنسانية »[2].

ويقول فيه الدكتور "**مصطفى السباعي**":«الأستاذ مالك جزائري الأصل، مجاهد في سبيل القضية الجزائرية بقلمه ولسانه، جهادا يعرف له فضله فيه زعماء حركة التحرير ومنطقيته، وواقعيته، وقوة أسلوبه قي الدفاع عن الأفكار التي يتبناها..... وقد استطاع مالك بأسلوبه الذي تفرّد به، وثقافته العربية الإسلامية، أن يوجّه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقّف الذي يتوق إلى الإصلاح مع احتفاظه

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص7.

[2]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص7.

بقوّة العقيدة، وسلامة التفكير، وبدأ يرى في الأستاذ مالك بن نبي رائده الفكري البعيد النظّر القوي الإيمان المناضل بقلمه، في سبيل اللّه والإسلام»[1] .

ويقول الأستاذ "**أنور الجندي**":« ومثل مالك بن نبي بين مفكّري العالم الإسلامي قليل فهو الرّجل الذي ورد مورد الغرب، وجاءنا منه نقيا صافيا، وقد حفظ اللّه له أصالته وأفاد ممّا وجد، نصاعة فكر، وبعد نظر، وعمق فهم، وقدرة على كشف تلك التحدّيات والشّبهات والأوضاع التي عمد التغريب والغزو الثّقافي على نصب شباكها، لتدمّر الفكر الإسلامي وإثارة أجواء الاضطراب والتّخلخل بين جوانبه »[2].

[1]- أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكّرا إصلاحيا، دار النفائس، ط2، 1986م، ص21.

[2]- أعلام القرن الرابع الهجري: أنور الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، (د،ط)، ص139.

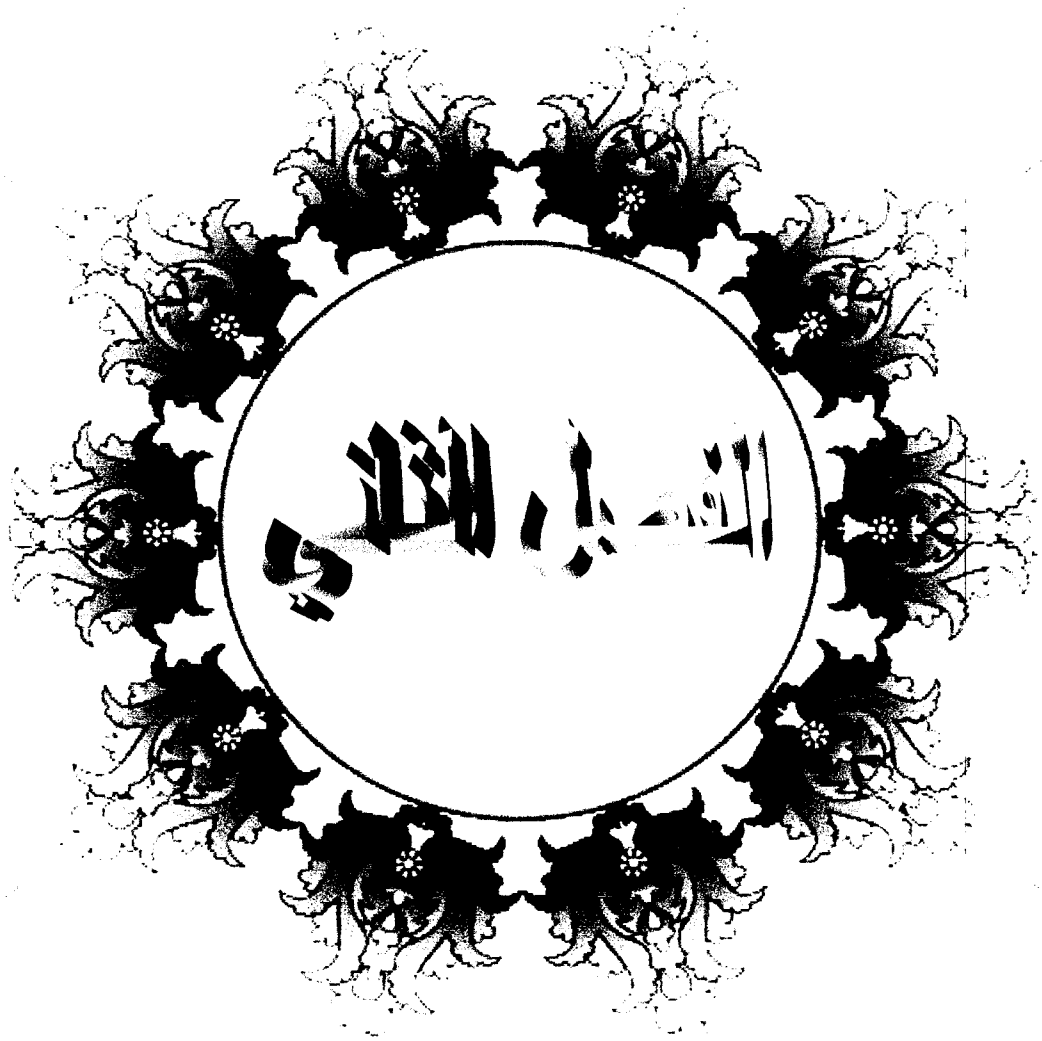
التقصير الانتخابي

ساهمت عدّة مصادر في تشكيل فكر مالك بن نبي وصياغته، نقف عند أهمها:

أولا: الثقافة العربية الإسلامية:

سبقت الإشارة إلى الدور الذي قامت به التنشئة الأسرية في تشكيل شخصية مالك بن نبي، وإذا الأسرة هي النواة أو الخلية الأساسية التي ينشأ الفرد في أحضانها، فان قصص جدّته لامّه "الحاجة زوليخة" هي المدرسة الأولى التي تكوّنت فيها مداركه، فقد كانت هذه القصص تدور حول العمل الصالح الذي يترتّب عنه الثّواب، ويقرّر مالك بن نبي ذلك، فيقول: «..... وكانت هذه الأقاصيص تعمل عمل تكويني دون ادري فمنها عرفت أن الإحساس في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي .....»[1].

أما المدرسة فتعدّ فضاءا تربويا يسهم أيضا في صياغة الشخصية، فقد اعتبرها علماء الاجتماع مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ففي الوسط المدرسي تلقّى مالك بن نبي تكوينا علميا وأدبيا، حيث درس التوحيد على يد شيخه **"مولود بن موهوب"** ، ويقول عنه مالك بن نبي: «وقد تولّى الشيخ "مولود بن موهوب" جذب أفكارنا وعقولنا إلى خط تلك الحركة التقليدية القديمة..... حيث غرس في قلبه حبّ الحركة الإصلاحية وجذبه إلى خطها.»[2].

[1]- مالك بن نبي: مذكّرات شاهد القرن، ص66.

[2]- ينظر: المصدر السابق، ص88.

كما درس الفقه والسيرة على يد شيخه "**عبد المجيد**" ، ويقول مالك بن نبي : « في هذه سنة1920م تلقيت على يد الشيخ **عبد المجيد** أول أسس الثقافة العربية، ولقد تعلّمت تصريف الأفعال والتمييز بينها وحفظت شيئا من الشعر»[1].

كما مكّنته دروس **الشيخ بن العابد** من اجتناب الوقوع في متاهات الفكر الغربي، إذ يقرّ مالك بن نبي قائلا: «مذكّرا قويّا يعيد روحي إلى الطريق الصحيح»[2].

كما تأثر مالك بن نبي تأثرا كبيرا بالحركات الصلاحية الإسلامية و بخاصة الحركة الإصلاحية بالجزائر و برائدها "الشيخ عبد الحميد بن باديس"، وتأثر أيضا بالحركة الوهابية في الحجاز و بالحركة الإصلاحية في المشرق، و من شخصياتها "جمال الدين الأفغاني" و "محمد عبده" و "محمد رشيد".

وفي هذا الصدر يقول مالك بن نبي « كان آخر هذه المؤثرات كتابات عثرت عليها في مكتبة النجاح، احدهما الينابيع البعيدة و المحددة لاتجاهي الفكر، أعني بذلك كتاب"الإفلاس المعنوية للسياسة الغربية في الشرق" لمحمد رضا، و"رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده»[3] .

وكذلك لكتاب "عبد الرحمن الكواكبي"(أم القرى) أثره هو الآخر على فكر بن نبي ونفسيته، إذ يقول « لم أكن اشك بأنه كتاب خيالي ولكن في نفسي كان عميقا »[4].

---

[1]- المصدر نفسه، ص422.

[2]- المصدر نفسه، ص67.

[3]- ينظر: المصدر السابق، ص66.

[4]- المصدر نفسه : ص88.

وتأثر مالك بن نبي أيضا ب"مروج الذهب" للمسعودي، وكتابي "النظرات"، و"العبارات" للمنفلوطي، كما كان لأفكار"زكي مبارك" الموجهة للصوفية والطرقية أثرها الواضح على موقف مالك بن نبي الهجومي ضد الطرقية في الجزائر[1] .

ويعتبر **حمودة بن الساعي** في فكره تلك القفزة النوعية من دراسة العلوم البحتة إلى العلوم الإنسانية، ويقول مالك بن نبي :« ابن الساعي الذي كان يذكر بي كان مخلصا ذكيّا ومثقّفا بالعربية والفرنسية فحسب، بل هو شخص مثالي وقدوة »[2] .

وكان "حمودة بن الساعي" يعلم ويوجه "مالك" خاصة في كيفية تفسير الآيات القرآنية تفسيرا اجتماعيا، ويعدّ القرآن الكريم الباعث الروحي والأساس الأول في تكوين مالك بن نبي، فقد وضع في الدراسات القرآنية أول مؤلف لهوقد تأثر مالك بن نبي بمقدّمة "ابن خلدون"، حيث أن بدايته مع ابن خلدون كانت بداية مبكرة، لقد تعرّف عليه وهو لم يتجاوز سنّ العشرين من عمره، حينما كان طالبا بالثانوية في مدينة قسنطينة، مابين 1921و1925م، وفي هذه المرحلة ولأول مرّة في حياته يتعرّف ويطّلع على ما كتبه ابن خلدون حينما اطّلع على مقدّمته التي كانت مترجمة وموجودة بمكتبة الثانوية، فكان لذلك الحدث العفوي أثره البارز في حياة بن نبي، فقد كان اطّلاع مالك بن نبي على مقدّمة

[1]-المصدر نفسه : ص422.

[2]- ينظر: المصدر السابق : ص67.

ابن خلدون نقطة تحوّل في حياته ومسار اتّجاهه الفكري كما يقرّ هو نفسه بذلك: «وفي ذلك وقع حادث صغير إلا إن نتائجه على تفكيري كانت كبيرة »[1] .

حيث أن هذا الحدث بالنسبة لابن نبي حدث تاريخي، ومفاجأة سارة له رسمت الخطوط العريضة بالنسبة لحياته الفكرية طوال حياته، وهذا ما جعله يعود لذلك الحدث أكثر من أربعين سنة، فالأحدث بالنسبة لمالك يعدّ اكتشافا لا ينسى: «قد اكتشفت وانأ بين الخامسة عشر والعشرين من العمر أمجاد الحضارة الإسلامية في ترجمة دوسلان لمقدّمة ابن خلدون .... وإنني على إدراك تام لما أدين به لهذه المطالعات..... والآن وقد تجاوزت السّتين من العمر.....»[2].

إن بداية مالك بن نبي مع ابن خلدون المبكرة، كانت بمثابة منعرج جديد ونقطة تحوّل استيراتيجية في مسار حياة ابن نبي الفكرية واتجاهها، فهذا الاكتشاف حسب تعبيره اطّلع من خلاله على الروح العلمية والفكر المعمّق والإبداع الأصيل والإثراء الموضوعي[3] .

إن القارئ الجادّ والدّارس المتأني لفكر مالك بن نبي لا تغيب عليه ملاحظة مكانة ابن خلدون عنده وتأثره به وعيشه في أحضان فكره قلبا وقالبا عنه انّه أصبح لديه "شمول ابن خلدون العقلي" [4] .

---

[1]- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، ص113.

[2]- مالك بن نبي : القضايا الكبرى، دمشق، دار الفكر1991، ط1، ص172.

[3]- عبد اللطيف عبادة: صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، ص30.

[4]- فهمي جدعان : أسس التقدّم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1981، ص577.

يقول الدكتور فهمي جدعان:« لقد كان مالك بن نبي أبرز مفكر عربي عني بالفكر الحضاري منذ ابن خلدون، ومع انّه قد تمثّل فلسفات الحضارة الحديثة تمثلا عميقا واستلهم في أحايين كثيرة أعمال بعض الفلاسفة الغربيين إلا انّه بالذات يظل أستاذه الأول وملهمه الأفضل »[1].

ثانيا: الثقافة الغربية:

تلقى مالك بن نبي عن المدرسة الفرنسية بالجزائر حبّ المطالعة، والاستفادة من المنهج الديكارتي العقلاني، كما طالع الصحف، والمجلات الغربية، وخاصة الجرائد الماركسية، كجريدة الإنسانية والكفاح الاجتماعي(**Humanité**) و (**Lutte Sociale**) ، ويقول مالك بن نبي في تجربته الجزئية مع الجرائد الفرنسية «اخترت بيت قراءاتي السياسية صحيفة إنسانية شيوعية إنسانية كانت تروي من ضمني الوطني... قرأت أيضا الكفاح الاجتماعي التي يصدرها "فيكتور سبولمان" وكانت تأتينا إلى الجزائر بصورة متقطعة »[2].

وهذه الصحف تمثّل الاتجاه الماركسي قد كشفت لمالك بن نبي عن طبيعة التفاعلات الاجتماعية، والقوانين التي تحرّك المجتمع، كما ساهمت في تشكيل ثقافته الاجتماعية، حيث اطّلع على مؤلّفات ماركس ولنين، واستطاع حلال وجوده بفرنسا أن ينمّي ويوسّع تأملاته الفكرية والأدبية، حيث قرأ لمشاهير الأدباء الفرنسيين أمثال "لمرتين" و "فيكتور هيجو".

[1]-ينظر: المرجع السابق، ص410.

[2]- مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، ص89.

كما تأثر ببعض الفلاسفة والمفكرين الذين تركوا بصمات واضحة في الثقافة الإنسانية المعاصرة، نذكر منهم "نيتشه و كانط و جون ديوي"، فقد قرأ كتاب نيتشه "هكذا تكلم زرداشت"، واخذ عن كانط فكرة الحق والواجب، التي أسس عليها مفهوما للعدالة الاجتماعية، حيث نرى ذلك في كتاب "المسلم في عالم الاقتصاد"، واطّلع أيضا على كتابات المستشرقين عن الإسلام مثل:

كتابات اوجين يونغ eugenyang " الإسلام بين الحوت والدّب" (L'islam entre la baleine et l ours)، وكتابات هنري بيرين "محمد وشرلمان"[1].

كما اطّلع على كتابات المؤرّخ الفرنسي جيزوا(Guizot)، وولتر شوبرت (Walter Schubart).

وقرأ للفيلسوف الألماني اسوالد شبنجلر(Osuald Spengler) مؤلفه الضخم "تدهور الحضارة الغربية" [2] .

وكان للمؤرّخ الألماني ارنولد توينبي (Arnold Toynbee) صاحب مؤلف "دراسة التاريخ" اثر كبير في فكر مالك بن نبي وفي نظريته للحضارة، حيث استمدّ منه فكرة التحدّي ودورها في نشوء الحضارات فصاغها صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم ويتجلى ذلك في كتابه "ميلاد مجتمع" [3] .

[1] – مالك بن نبي: شروط النهضة، ص71.

[2] –ينظر: بن براهيم الطيب: مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، ص50.

[3] – ينظر: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ت.عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1986، ص45.

واحذ عن الفيلسوف الألماني هرمان كسرنلنج (Keyserling) فكرة البدايات الدينية لكل الحضارات التي عرفتها الانسانية ويتضّح ذلك في كتابه " شروط النهضة "[1].

ومن خلال ذلك يتبين لنا الدور الكبير الذي لعبه المنبعان الثقافيان العربي الإسلامي والغربي في تكوين شخصية مالك بن نبي الفكرية والمثقفة حتى أصبح مفكّرا له وزنه في العالم الإسلامي.

[1]-ينظر. مالك بن نبي: شروط النهضة، ت. عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987.

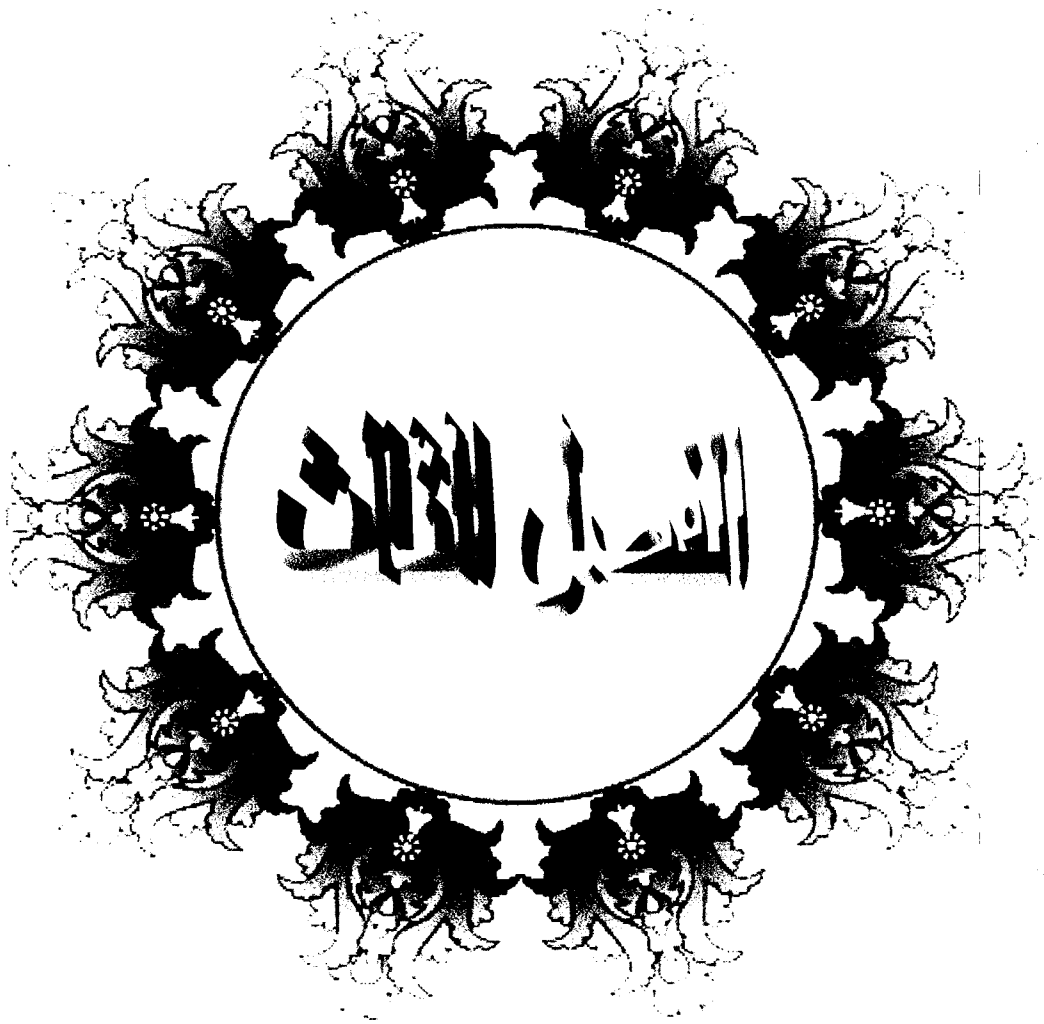
الفصل الثالث

يعتبر مالك بن نبي من الرواد المسلمين المعاصرين في الفكر الحضاري، إذ خاض في الفكر التاريخي والاجتماعي والفلسفي، واطّلع على : " فلسفات الحضارة الحديثة وتمثلها عميقا واستلهم في أحايين كثيرة أعمال بعض الفلاسفة الغربيين "[1].

قبل أن يهتم بشؤون وشجون عالمه الإسلامي الممزّق ووضعه الحضاري الذي يرثى له.

كانت انطلاقة مالك بن نبي من السؤال التالي: ما هي الحضارة [2]؟. فحاول في سلسلة كتبه التي كانت تحت عنوان "مشكلات الحضارة" أن يجيب عن هذا السؤال الهام بتريّث وأناة وتبصّر، لأنه يعلم أن الحضارة لا تعرّف تعريفا واحدا موحّدا، ويجب أن ينظر لها من عدّة زوايا.

وأي تعريف واحد قد لا يفي بالتعريف الكافي والدقيق لها، فتناول الحضارة تناولا أكثر شمولية وتغطية لها، من جهات تركيبها وتكوينها ووظيفتها وتطوّرها تاريخيا واجتماعيا[3] . وكان بن نبي يرفض أن ينظر للحضارة من وجهة نظر انتربولوجية ويفضّل تناولها من وجهة نظر وظيفية .

[1]- فهمي جدعان: أسس التقدّم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ص410.

[2]- مالك بن نبي : القضايا الكبرى ،ص35.

[3]- آمنة تشيكو : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي ، ص111.

أولا : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

يقول عنها بأنها عبارة :« مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معيّن أن يقدّم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة الى الشيخوخة المساعدة الضرورية في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموّه » [1] .

فهو هنا ينظر للحضارة من خلال الخدمات الأخلاقية والمادية التي يحصل عليها كل فرد في المجتمع، كل حسب حاجته وسنّه، فان وفرت له كل حاجات العصر ومستلزماته من تعليم ونقل وعلاج وسكن وحرية وامن وكرامة، فهي إذا الحضارة. فالحضارة عند بن نبي هي: «حماية للإنسان لأنها تضع حاجزا بينه وبين الهمجية » [2] .

ومن جهة أخرى، فان بن نبي ينظر للحضارة على أنها هيكل وروح وحركة ووظيفة، فإذا كانت وظيفتها خدمة الإنسان ماديا ومعنويا، فليس معناها أنها جامدة وثابتة، بل هي حركة تاريخية متغيّرة غايتها السير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية هذا:"هو ما نطلق عليه اسم الحضارة"[3].

فالحضارة موجودة بين قطبين متلازمين لا ينفصلان ويشكّلان ضرورة لحياة الحضارة ونموّها وتوازنها هما الروح والجسد، فلا حضارة بدون هيكل، ولا هيكل بدون روح، فالحضارة هي بناء وتوازن بين الروح

[1]- مالك بن نبي : القضايا الكبرى ، ص43.

[2]- اسعد السحمراني :مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، ص143.

[3]- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص16.

والجسد في مجال تواجدها وظهورها، وهذا ما عبّر عنه ابن نبي قائلا:« وفي استخدامنا للمصطلحات البيولوجية حيث تنشأ ويتقوى هيكلها وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها»[1].

فالحضارة فهي نتيجة حركة تاريخية تطوّرية نحو الأرقى، وهي نتيجة جهد يبذل ماديا وفكريا، فهي " كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي "[2].

إن الحضارة ليست فقط بناء القلاع والقصور، أو نحت التماثيل وإقامة المعابد، أو صناعة آلة أو اختراع جهاز، أو رفع إنتاج وماشية ذلك من عالم الأشياء، بل هي قبل ذلك في نظر مالك فكر، وبناء فكري، فهي :« إنتاج فكرة حيّة تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضّر والدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبنى هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره »[3].

الحضارة لا تتجزأ:

ما نلاحظه عند مالك بن نبي عند تعريفه للحضارة ، هو تعدّد التعاريف وتنوّعها وهي لا تؤدّي إلا إلى تعريف واحد هو الحضارة، ويرفض ابن نبي التعريف الجزئي الأحادي للحضارة، فهو لا يعرّفها تعريفا اجتماعيا فقط، أو تعريفا وظيفيا أو تاريخيا، بمعنى أن الحضارة ليست هي الاقتصاد والثروة ووسائل الإنتاج، كما إنها ليست الأحداث والنظم السياسية أو المباني العمرانية أو الأفكار التجريديّة، ولا هي المجتمعات الغنيّة، ولا هي حتّى منتجات حضارة أخرى، فهي لا تحصر هنا

[1]-آمنة تشيكو : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي ، ص124.

[2]- مالك بن نبي: .شروط النهضة ، ص141.

[3]- مالك بن نبي : مشكلة الأفكار، ت.بسّام بركة واحمد شعبو، دمشق، دار الفكر،ط1، 1988، ص49.

أو هناك في زوايا هذه الميادين بل هي موجودة هنا وهناك في كل الميادين و المجالات، ولا تقتصر على جهة دون أخرى، فهي موجودة في حركة وفاعلية الإنسان وقيمته، وكذلك في قيمة وقته وترابه، وهي العناصر الأساسية المكوّنة للحضارة، أما مازاد عليها فهو منتوج حضاري لا أكثر[1] .

وممّا سبق فانّ الحضارة عند مالك بن نبي هي كلّ لا يتجزّأ فهي حركة تاريخية غير ثابتة، وهي إنتاج فكرة حيّة، وهي نتيجة جهد مبذول، وهي هيكل وروح، وهي الخدمات الماديّة والمعنوية التي يحصل عليها كل فرد في المجتمع في كل أطوار حياته،وهي حاجز للإنسان عن الهمجية، إن ابن نبي يطرح القضية الحضارية كما يراها ويشعر بها كحقيقة نسبية واقعية يعيشها بكلّ تشعّباتها وليس كقضيّة نظريّة يتصوّرها .

إن الحضارة عند مالك هي روح وهيكل في تكوينها، وفكرة دينية في منطلقها وتركيبها، وأخلاق وذوق جمالي في اتجاهها، وشبكة اجتماعية في علاقتها، إنها كائن معقّد ومركّب من عدّة عالم أخرى، فللحضارة عالمها الاجتماعي والسياسي والثّقافي والنفسي والدّيني والاقتصادي، وهذه العالم شديدة التداخل والتواصل فيما بينها وتؤثّر على بعضها البعض سلبا وإيجابا [2].

واصل الحضارة دوما هو الإنسان والتّراب والوقت، لكن هذه العناصر ليس كل عنصر منها هو الحضارة بالضّرورة، كما ليست مجتمعة في الحضارة، فالحضارة تحتاج لمركّب يركّب عناصرها السالفة

[1] – ابن براهيم الطيب : مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ، ص116.

[2] – ينظر : المرجع السابق ، ص117.

الذّكر، ولموجّه اتجاهها، ولهيكل يحميها ولروح تحييها، فهي توازن وانسجام وتكامل مع كل عوالمها التي تشكّل نسيجها الحضاري [1] .

ونجد ابن نبي قد عرّف أيضا مصطلح الحضارة من عدة جوانب، تاريخية واجتماعية وثقافية ونفسية ووظيفية.

فالحضارة من ناحية تاريخية، أي من ناحية تكرّرها بصفتها ظاهرة في التاريخ الإنساني هي عبارة عن « تنظيم معيّن للمجتمع على قواعد أخلاقية يجعله يبلغ مستوى القدرة على مواجهة جميع أعبائه بواسطة وسائل تعدّ منقوصة على وجه الإجمال، إذا قارنّاها بالوسائل التي تقع في حوزة بلدان أخرى نامية »[2].

وتحدّد تلك القواعد الأخلاقية خصوصيات تلك الحضارة وتميّزها عن غيرها، وليست هذه القواعد في جوهرها سوى الفكرة الدينية التي سبق أن اعتبرها بن نبي المركّب الذي تتولّد عنه الشّرارة الباعثة للمياه في باقي مكوّنات الحضارة، وعلى هذا الأساس، فالحضارة ليست سوى « إنتاج فكرة حيّة تطبع على مجتمع ما، قبل التّحضر، الدّفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذّي اختاره. وعلى هذا النحو تتأصّل جذوره في محيط ثقافي

أصيل يتحكّم بدوره في جميع خصائصه التي تميّزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى »[3].

---

[1]- المرجع نفسه ، ص117.

[2]- مالك بن نبي: آفاق جزائرية، مكتبة عمّار، القاهرة 1971م، (د."ط) ،ص35.

[3]- مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، ط1،1979 ، ص198.

لكن هذا التميّز لا يتأتى من مجرّد تميّز أفراد المجتمع كبشر وكتاريخ وثقافة، ذلك إن الحضارة « ليست كل شكل من أشكال التنظيم للحياة البشرية في أي مجتمع كان، وكنها شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية، بحيث نجد هذا الشكل نوعيته في استعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معيّنة، ليس المجتمع المتخلّف في حالة تكيّف معها لا من حيث رغبته، ولا من حيث قدرته، أو بعبارة أخرى، لا من حيث أفكاره ولا من حيث وسائله » [1] .

فالقيام بوظيفة معيّنة إذن — أي بلوغ هدف مدروس — هو المعيار الأساسي للتّوجه الحضاري في السّياق الثّقافي والاجتماعي والتاريخي.

« فالحضارة هي القدرة على القيام بوظيفة أو مهمّة معيّنة » [2].

وهي من هذا المنظور تستلزم انخراط قوى المجتمع كله في التّوجه نحو ذلك الهدف أو القيام بتلك الوظيفة، وبدرجة عالية من الفعالية، ذلك، « إن إرادة المجتمع وقدرته تضفيان على وظيفة الحضارة موضوعية وفاعلية، أي إن جملة العوامل المعنوية والمادية اللازمة لتحقيق تقدّم الفرد، تصبح موضوعية، وذلك بان تتحوّل إلى سياسة وتشريع فيمثّلان عالم الأفكار في هذا المجتمع على الصّعيد الاجتماعي والأخلاقي تمثيلا مباشرا » [3] .

[1] – مالك بن نبي: آفاق جزائرية، ص77-78.

[2] – مالك بن نبي : مشكلة الأفكار ، ص50.

[3] – ينظر: المصدر السابق، ص51.

وهذا يعني أنّ هذه السياسة وتلك التشريعات تصبح نتاجات طبيعية لكل مجتمع يتقدّم في طريق حضارته، لان الحضارة من وجهة نظر وظيفية هي « مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معيّن أن يقدّم لكل فرد من أفراده، وفي كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطّور أو ذاك من أطوار نموه »[1].

فهناك تبادل وتوازن بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع، بحيث تنتظم هذه المصالح وفق شروط أخلاقية تمليها ثقافة المجتمع ومكونات ضميره، وشروط أخرى مادية تفرضها الخطة الموضوعية لصعود المجتمع قي سلم التطوّر، وهو ما يجعل الحضارة في الواقع« جملة من العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفّر من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدّمه »[2].

لقد أعطى بن نبي أهمية متساوية للعناصر الماديّة في الحضارة، ولعله يمكننا القول بأنه قدّم الأخيرة على الأولى في معظم الأحيان، وذلك لأنها ناتجة عنها ومتفرعة منها، ويتضّح من تعريفاته انّه لا يرى الحضارة كيانا ماديا أو فنّيا تقنيا خالصا، بل يراها كلّا منصهرا من العناصر المعنوية والمادية ذات العلاقات العضوية المتشابكة .

وهو يعطي أهمية خاصة للعنصر الأخلاقي الذي يعتبره محرّكا للفعالية وأساسا لشبكة العلاقات — الاجتماعية الثقافية — في المجتمع، « فالمبدأ الأخلاقي يقوم

[1]- مالك بن نبي: آفاق جزائرية، ص88.

[2]- مالك بن نبي : مشكلة الأفكار ، ص72.

بالضبط ببناء عالم الأشخاص الذي لا يتصوّر بدونه عالم الأشياء ولا عالم المفاهيم »[1]. ومع ذلك، فقد كان بن نبي عرضة لسوء الفهم، حين أول احد الكتاب تعريفاته للحضارة بأنها مادية، وأنها اقرب إلى تعريف المدنية منها إلى تعريف الحضارة [2] .

ولعلّ استعمال بن نبي لمصطلح (الضمانات الاجتماعية) في بعض تعريفاته هو السبب في سوء الفهم ذاك، إذ يبدو أنّ الكاتب قد فسّر مصطلح الضمانات، ولكن ذلك المفهوم نفسه ما لبث أن خضع لبعض التّغيرات التي فرضتها ظروف إقليمية وعالمية. ولذلك قد نصّت هيئة اليونيسكو في إحدى وثائقها على انه لا حدود لاتساع حاجات الإنسان وتنوّعها، فهي لم تعد مقتصرة على الجانب المادي وعليه فلابدّ من النظر إلى الطموحات الإنسانية والمصالح الاجتماعية والتطلعات الروحية على أنها ضرورات بشرية أيضا [3].وهكذا نجد أنّ أفكار بن نبي سبقت هذه الوثيقة، إذ رأى أنّ الضمانات – بكل أنواعها – تقع في دائرة الحضارة، فاحترام الإنسان وتوفر الأمن له على درجة متساوية من الأهمية مع تأسيس المدارس وبناء المستشفيات وتوفير العمل [4].

وفي هذا الصدد يجدر التذكير بالأولوية التي يحتلها عالم الأفكار في فكر بن نبي على عالمي الأشخاص والأشياء، إذ أكد أكثر من مرة على إنّ أزمة العالم المختلف ليست بسبب عدم امتلاكه للأشياء، التي هي نتاج حضارة، بسبب افتقاره إلى الأفكار، التي هي روحها .

[1]- مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد، ص72.

[2]- علي القريشي : "مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وسيّد قطب"، مجلة الهلال، سبتمبر1986م، ص121.

[3]- فوزية بريون : مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دمشق، دار الفكر 2010، ص204.

[4]- مالك بن نبي: آفاق جزائرية، ص38-39.

وفي سياق البحث في جوهر الحضارة، وتبيين شروطها وسننها يرفض ابن نبي اعتبار علم الإنسان (الانتروبولوجيا) أنّه « شكل من أشكال التنظيم للحياة البشرية في أي مجتمع كان »[1] من المجتمعات النامية والمتخلفة نوعا معينا من الحضارة، إذ أنّ ذلك يتناقض مع استقراءات الواقع والتاريخ ومع تفاصيل تصورات الحضارة في فكر مالك بن نبي، وهو يردّ على هذا المفهوم الأكاديمي بقوله:« فإذا كان شكل الحياة الذي ورثته هذه البلاد من عهد القابلية للاستعمار والاستعمار يمثّل (حضارة) فانّ السؤال الذي طرحناه سابقا [ما هي الحضارة ؟] يصبح رائدا وبلا طائل »[2]، وبالإضافة إلى ذلك فقد أنكر على الأنتروبولوجيين تصورهم لوجود

(مجتمع بدائي) و(ثقافة بدائية)، بل رفض إطلاق اسم مجتمع على التجمعات البشرية البدائية[3] .

فالحضارة في ابسط تعريفاتها، ليست في رأي بن نبي(كومة) من الأشياء المختلفة والمتنوعة، وإنما هي (كل) منسجم من الأشياء والأفكار، ومن العلاقات والمنافع والمسميات، وهي بناء وهندسة وتجسيد لفكرة أو مثل اعلي[4] .

ولذلك فلكل حضارة في التاريخ سماتها المميزة، « وكل دورة محدودة بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين، فهي حضارة بهذه الشروط »[5].

---

[1]- المصدر نفسه، ص77.

[2]- ينظر: المصدر السابق، ص26.

[3]- مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد، ص73.

[4]- مالك بن نبي : الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ، ص79.

[5]- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص26.

ولهذا من المنطقي أنّ « الحضارة هي التي تكوّن منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكوّن الحضارة إذ من البديهي أنّ الأسباب هي التي تكوّن النتائج وليس العكس »[1].

وعلاوة على ذلك فان الحصول على جميع منتجات حضارة ما عملية مستحيلة في حدّ ذاتها، كمّا وكيفا، وهي لو حقّقت – جدلا – فإنها لا تصنع حضارة، لان الحضارة : «لا تبيعنا روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية وأذواقها، وهذا الحشد الهائل من الأفكار والمعاني التي لا تلمسها الأنامل..... والتي بدونها تصبح كل الأشياء التي تبيعنا إيّاها فارغة دون روح وبغير هدف »[2].

ثانيا : عناصر الحضارة :

للحضارة ثلاثة عناصر أساسية تكوّنها، ولا يمكن الاستغناء عن احدها دون الآخر، وأي غياب لأحد عناصر الحضارة الثلاثة، يستحيل وجود التاريخ الحضاري، فالحضارة عند مالك بن نبي هي: **إنسان + تراب + وقت** [3] .

إنها العناصر الأساسية للحضارة عند مالك، وكل زيادة لها لكل عنصر لآخر لا يعدّ ضروريا، فلو أضفنا لها عنصرا رابعا، فلا يعدّ ذلك منتوجا حضاريا ناتج عن تفاعل هذه العناصر الثلاثة، فلو أضفنا لها عنصرا آخر رابعا كالعلم مثلا فهذا يعدّ غير صحيح علميا، لان العلم منتوج حضاري، لأنه شيء مركّب= إنسان+ تراب+ وقت.

[1]– مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد، ص99.

[2]– مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص43.

[3]– مالك بن نبي: شروط النهضة، ص44.

إمّا العناصر الثلاثة الأساسية فهي مركبة، ولا يمكننا بأي حال حذف احد عناصرها للوصول إلى الحضارة، فلا حضارة بدون إنسان أو بدون مكان أو زمان[1].

الإنسان:

صحيح أنّ للحضارة ثلاثة عناصر إلا أن أهم العناصر على الإطلاق هو الإنسان، فهو الذي بيده مفتاح الحركة والانطلاقة الحضارية، وبداخله تبدأ الحركة والتغيير قبل أن تخرج خارج ذاته لتطبّق وتعمّم في محيطه المكاني وفي إطاره الزّماني.

فالإنسان يمثّل «الجهاز الاجتماعي الأول..... فإذا تحرّك الإنسان تحرّك المجتمع والتاريخ»[2] .

إنّ الإنسان هو الكائن الحضاري الذي ينتج الحضارة بالتغيير والحركة، ولا يغيّر الإنسان التاريخ إلّا إذا غيّر فكره، فالتغيير يجب أن يكون كليا، وان يكون فرديا قبل أن يكون جماعيّا، فلا نغيّر الآخرين قبل أن نغيّر أنفسنا «غيّر نفسك تغيّر التاريخ »[3] ، وكان ابن نبي يستشهد بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم** ﴾[4].

إنّ الإنسان عند مالك بن نبي الذي يتناوله والذي يرى فيه احد أهمّ عناصر الحضارة، ليس هو الإنسان الفرد المكوّن للنوع البشري، بل هو الإنسان الاجتماعي وجهده الجماعي المنتج للحضارة،

---

[1]- مالك بن نبي: مشكلة الحضارة، الأصالة العدد54-55 ربيع الاول1398، فبراير1978، ص154-155.

[2]- مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد، ص50.

[3]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص32.

[4]- سورة الحج : الاية11.

فالحضارة ليست منتوج فردي بل منتوجا جماعيا «فالشخص في ذاته نتاج الحضارة، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء »[1]. وانّ أول خطوة في التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغيّر الفرد من كونه مجرّد فرد عادي إلى أنّ يصبح شخصا وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع [2] .

فالإنسان كائن حضاري يتلون بلون الحضارة، فهي منه واليه، وهو منتجها والمستفيد منها، وهو المرآة العاكسة لها أو العاكسة له، فهي تقوى بقوته وتضعف بضعفه، فالتاريخ دائما يبدأ بالإنسان المتكامل وينتهي كذلك بالإنسان المتحلّل[3] .

لكنّ السؤال المطروح هو كيف الوصول إلى الإنسان المتكامل الصانع للحضارة بماله و فكره وجهده ؟ إنّ الوصول لهذا النوع من الإنسان ليس بالأمر اليسير، فإعداده وتجهيزه :« اشق كثيرا من صنع محرّك أو ترويض قرد على استخدام رباط عنق »[4] . فالإنسان هو الكائن الوحيد من بين الكائنات الأخرى الذي يعتبر كائنا حضاريا متحضّرا، راقيا ومترقيا وصانعا للحضارة، وهو لم يصنعها بعقله فحسب أو بعقله مضافا إليه عنصر الزمن بل بتركيبه العضوي وخصائصه البدنية كذلك[5].

ومن جهة أخرى فان الإنسان هو العنصر الوحيد بين عناصر الحضارة الأكثر تشابها بينه وبين الحضارة، فيمر بنفس المراحل التي تمرّ بها الحضارة، وهو الكائن الوحيد المعقّد الوحيد في تركيبته

[1]- مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص26.

[2]- المصدر نفسه، ص28.

[3]- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص28.

[4]- ينظر: المصدر السابق، ص33.

[5]-ابن براهيم الطيب : مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ، ص128.

الاجتماعية والنفسية والثقافية والفكرية والدينية والتاريخية، وكذلك للحضارة نفس العوالم، فلها عالمها النفسي والفكري وعالمها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني.....الخ[1] .

فالإنسان يبقى أكثر عناصر الحضارة تلاحما بالحضارة إن لم نقل هو الحضارة، وعموما سيبقى دائما هو العنصر الأول في بناء الحضارة وتأسيسيها [2]،لأنه أكثر بقية العناصر الحضارية وأوحدها تحرّكا وإبداعا وتحدّيا، بينما العنصران الآخرين يمتازان بالرتابةّ والجمود وعدم الحركة الإرادية.

فالإنسان قادر على تعويض ضعف أو قلّة أو فقر العنصرين الآخرين بجهده وتأثيره وتحدّيه لوسطه الحضاري بثلاث مؤثّرات رئيسية هي الفكر والعمل والمال[3].

أما العناصر الأخرى فلا تستغني عن الإنسان، أو عن ضعفه أو قلّته.

أمّا الإنسان وليس كل إنسان قادر على استخدام بقية العناصر الأخرى وحسن استغلالها واستثمارها، وهي التراب والوقت، لأنه قادر ضمن المسار التاريخي وقادر على صناعة الحضارة، لذا «يجب علينا أولا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى »[4] .

فالإنسان عند مالك بن نبي هو واحد بطبعه متعدّد بتعدّد أوضاعه التي يعيشها، ويختلف باختلاف ظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فالإنسان الذي يعيش في أوربا يختلف عن

[1]- ينظر: المرجع نفسه ، ص129.

[2]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص 73.

[3]- المصدر نفسه، ص77.

[4]- المصدر نفسه، ص75.

الإنسان الذي يعيش في العالم الإسلامي بسبب اختلاف وضعيهما السياسي والتاريخي، فالأول من بلاد مستعمِرة والثاني من بلاد مستعمرة، فالإنسان الأوربي يعاني من حركة بناء، والإنسان المسلم يعاني من حركة ركود[1] .

يقسّم لنا مالك بن نبي إنسان الحضارة الواحدة حسب تطوّره الحضاري وحسب موقفه وبيئته إلى ثلاثة نماذج:

— رجل البادية الذي يقف عند نقطة الانطلاق الحضاري، وهنا يقف ابن نبي مع ابن خلدون في قوله بأنّ البداوة مرحلة أولى للحضارة أو بمعنى نقطة الانطلاق الحضاري، فإنسان البادية مازال محافظا على فطرته ولم تفسده الحضارة، فالإنسان:« الذي يفسخ حضاريا مخالف تماما للإنسان السابق على الحضارة او الإنسان الفطري »[2].

— رجل المدينة وهو الإنسان الذي يقف في منتصف الطريق وعند منتصف الفكرة ولا يعرف كيف يصل لهدفه.

— محترف الثقافة وهو الإنسان الأناني الذي سخّر كل شيء لمصلحته [3] .

فالإنسان دائما في حياته يعيش في صراع مرحلي، أولى مراحله هو صراعه مع ذاته و نفسه ثم صراعه مع بقية عناصر الحضارة بكل تحدّياتها، وذلك لغرض إخضاع محيطه لرغباته وأهدافه، ولينتصر على

[1] – مالك بن نبي: شروط النهضة، ص75.

[2] – ينظر: المصدر السابق، ص70.

[3] – آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي ، ص127.

تحدّيات الطبيعة من حوله كالرياح والمياه والغابة،.....الخ. ولينتصر على غيره، عليه أن ينتصر أولا في صراعه على عناصر ذاته ، على أفكارها ومشارعها قبل غيرها[1] .

التراب:

إنّ التراب هنا لا نقصد به التراب المنظور له من حيث خصائصه الطبيعية، فهذا له علاقة بالعلوم الأخرى وليس له علاقة بعلوم الحضارة، ولكننا نعني بالتراب هنا نظرتنا له من حيث القيمة الاجتماعية، وقيمته الاجتماعية مستمدّة من قيمة مالكية وقيمة أمته وحضارتها [2] .

إنّ تشكيل وبناء الحضارة يجعل من التراب الذي يقدّم بصورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيطا « مجالا مجهّزا مكيّفا تكييفا فنيّا يسدّ حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة تبعا لظروف عملية الإنتاج »[3] .

إن قيمة التراب الاجتماعية تظهر من قيمة مالكيه وكمية ونوعية إنتاجه، وهذا ما يظهر لنا في بلدان متحضّرة لها من التراب مساحات ضيّقة صغيرة تقلّ عن عيرها عدّة أضعاف، وسكانها اكبر وأكثر من سكان بلدان المساحات الواسعة، ومع ذلك فالأولى صاحبة المساحة الضّيّقة والعدد الكبير للسكان هي التي تطعم وتموّن تلك التي تفوقها مساحة وتقلّ عنها سكانا، فالسّر يكمن في القيمة

[1]- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ، ص56.

[2]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص131.

[3]- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص28.

الحضارية للتراب، وكيف يستغلّ كعنصر فعال في البناء الحضاري، أما المساحات الشاسعة من التراب والعدد الكبير من السكان بلا قيمة حضارية ، فلا قيمة لهم [1].

فالتراب عند مالك بن نبي هو المجال الحيوي ويعني به ما فوق التّراب وما تحته، فكيف تتعامل مع ذلك المجال الحيوي ويعني به ما فوق التراب وما تحته، فكيف تتعامل مع ذلك المجال الحيوي وتكيّفه وتستغله حسب أهدافنا وحاجاتنا، فالبناء الحضاري لا يحتاج فقط لمكان تقيم عليه بناء حضارتنا ليحتضنها، فالتراب بالنسبة لمالك هو مورد وثروة حضارية، وكيفية استغلاله هو العامل الحاسم في بناء الحضارة، فالتربة لا تقاس بمساحتها ولا بعدد سكانها ولا بموقعها بقدر ما تقاس بقيمتها الحضارية المستغلة .

مرّة أخرى نعود إلى قيمة التراب التي هي جزء لا يتجزأ من قيمة مالكه، فان كان مالكه متحضّرا كانت أرضه منتجة وقيمتها ثمينة وحدودها محصنة، وان كان مالكه عاجزا كانت أرضه فقرا لا قيمة لها .

فالأرض التي تنتج تتحول من ارض خصبة إلى فلاة ثم في مرحلة لاحقة تتحول إلى صحراء تؤدي حتما إلى تحوّل اقتصادي، فمن حياة زراعية تتحوّل إلى حياة رعي، ومن رعي تتحول إلى لا شيء [2].

[1]– ابن براهيم الطيب :مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ، ص132 .

[2]–مالك بن نبي: شروط النهضة، ص133.

ويستدّل مالك بن نبي على أهمية استغلال الأرض والتربة بما كان يحدث في بلده الجزائر من عملية التّصحر التي كانت تزحف من الجنوب إلى الشمال، ويرى في ذلك ليس مشكلة فقط بل مأساة دامية:« إذ تموت الأرض الخضراء عن أهلها وتتركهم يتامى بين يدي الصحراء المقفرة »[1] .

كما يستدلّ على ما حدث بمدينته تبسه التي نشأ بها ويعرّفها أدق المعرفة، والتي كانت مدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها مائة وثمانين ألف ساكن، فانخفض العدد إلى الأربعين ألف ساكن تقريبا في مدّة عشر سنوات فقط [2] .

وان هناك فرق بين ارض تستقطب السكان وارض تطرد أبناءها وتقتل مواشيها وقطعانها، والخطورة عند مالك بن نبي لا تكمن في هجرة سكانها بقدر ما تكمن في هجرة نوعية معينة من السكان انه «رجل الفطرة» القابل للتحضّر والذي يختلف تماما عن الإنسان الذي تفسّخ حضاريا.

إلا أن التراب ليس وحده المتحكم في مصير الإنسان، فأين دور الإنسان في المقاومة والتحدي والتفاعل مع بيئته وترويضها وتطويعها وتكييفها حسب أغراضه وأهدافه، وإذا كان هناك من البشر من يستلهم وينهزم أمام بيئته ويغادر الأرض التي أصيبت بالجفاف والتصحّر والفقر، فهناك نوع آخر من البشر لا يعترف بذلك ولا يجد الوهن طريقه إلى عزيمته، ويجعل من الضعف قوة ومن الصحراء جنة، ويضرب ابن نبي مثالا على ما قام به الفرنسيون في جنوب غرب بلادهم التي كانت الرّمال عبره تهدّد المنطقة وصحة أهلها، فهب سكانها لغرس الأشجار خلال مدّة عشرين سنة، فسدّوا

[1] – المصدر نفسه، ص132.

[2] – المصدر نفسه، ص134.

الطريق على الرمال ما بين مدينتي بوردو وبيارتيز فتحولت المنطقة إلى أوّل منتج في العالم "لزيت التيريبنتين" وملجأ صحيا للمرضى من جميع أنحاء العالم، وليس فرنسا وحدها حققت ذلك، بل هناك الكثير من الشعوب التي صنعت من الضعف قوة ومن المستحيل ممكنا ومن الهزيمة نصرا، وان هولندا هي الأخرى ثلث أراضيها مصنوعا بأيدي أهلها [1] .

يعتقد مالك اعتقادا جازما أنّ الشعب الذي ينتصر على نفسه وعلى أحوال الطبيعة، ويخضع التراب له ويمهده لبناء حضارته لم يعد شعبا يخاف نوائب الزّمن[2] .

الوقت:

هو ذلك المخلوق الصامت والعابر بنا وحولنا، والذي لا نسمع له صوتا ولا نلمس له ركنا، ولكننا نعيش بين أحضانه مند اللحظات الأولى لوجودنا في هذا العالم إلى غاية لحظات رحيلنا عنه وتركه وراءنا، فالوقت هو الذي يتكون من اصغر جزيء فيه ليمتدّ عبر العصور والدهور الطويلة، فحياة الشعوب والأمم والحضارات لا تقاس إلاّ بمقاييسه.

إنّ الزمن عند مالك بن نبي هو الذي يتم تكييفه اجتماعيا وإدماجه ضمن العمليات الصناعية والاقتصادية والثقافية باعتباره ركيزة تقوم عليها سائر اطّرادات هذه العمليات [3]. ويعتبر امتدادا لنمو واكتمال الاطرادات المتعلقة بعلم الاجتماع [1] .

---

[1]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص135.

[2]- ينظر: المصدر السابق، ص136.

[3]- مالك بن نبي : القضايا الكبرى ، ص136.

فالوقت عند بن نبي ثروة ثمينة قد تكون مستغلة وقد تكون مطلقة، وهذه الثروة بالنسبة للعالم الإسلامي الذي يعاني من أزمة حضارية هي معطّلة، فالوقت هناك في هذا العالم ينتهي إلى عدم[2] .

إنّ تأخرنا الحضاري يجعلنا نحتاج إلى العديد من الوقت لنستدرك به ما فاتنا، وكلما استغلينا ذلك الوقت كلما كان ثمينا، وكلما أهملناه كان تافها رخيصا، وأصبحنا في حاجة إلى مزيد من الوقت لنعوض تأخرنا.

فعلينا كما يقول ابن نبي أن نعلم المسلم علم الزمن وهو كيفية استغلال والوقت كطاقة حيوية وأساسية، وإذ استغل الوقت:« فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي وهذه هي الحضارة »[3].

إن ما ينجز في الوقت الحضاري من أعمال فكرية ومادية يكون قياسا بالمقارنة لما ينجز في وقت غير حضاري، فالوقت كالإنسان كلاهما عنصر أساسي في بناء الحضارة وكل منهما يفيدها ويستفيد منها ويعطيها ويأخذ عنها، وكلما ارتقت الحضارة وازدهرت كلما كان للوقت أهمية قصوى ويصبح ثمينا. لقد أصبح وقت حضارتنا المعاصرة يقاس بالثواني والدقائق، وما كنا تحتاج لفعله وانجازه في شهور أو سنوات أصبح ينجز في دقائق وثوان.

---

[1]- المصدر نفسه، ص55.

[2]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص140.

[3]- المصدر نفسه، ص141.

إنّ قيمة الوقت أغلى من قيمة المال، لانّ بعض الوقت يعطيك بعض المال، وان المال كله لا يعطيك بعضا من الوقت، ويستشهد مالك على أهمية الوقت في بناء الحضارة بألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، والتي فرضت على شعبها الزيادة في العمل بمعدّل ساعتين إضافيتين لكل فرد يوميا، كان ذلك بعد خروجها من الحرب العالمية الثانية منهزمة منهكة قواها مخرّبة أرجاؤها، ولم تكن تملك من وسائل البناء والتعمير شيئا غير عناصر الحضارة الثلاثة: الإنسان والتراب والوقت.

الدين و عناصر الحضارة :

إنّ للحضارة ثلاثة عناصر أساسية تتركّب منها، وكل ماعدا ذلك فهو ناتج عن تركيب لهذه العناصر، إنها الأصل الثابت لكل بناء حضاري، لكن مالك يفرق مبدئيا بين البناء والتركيب الحضاري، وبين التكديس الحضاري، فهذا الأخير هو وفرة مجموع الإنسان والتراب والوقت، أو مجموع منتوج هذه العناصر مجتمعة وهو ما يسمى بمنتوج حضارة أخرى، فوفرة وتكديس هذه العناصر ليس معناه بناءا حضاريا بل هو مضيعة للوقت . فالبناء الحضاري يعتمد على العناصر الثلاثة للحضارة، الإنسان والتراب والوقت وهي عناصر ثابتة غير متغيرة لأي حضارة ، وكل عنصر لأداء مهمته يجب أن تتوفّر له شروط وخصائص معينة ، وخصائص كل عنصر غير ثابتة ، فهي تتغيّر بتغير الإنسان والتراب والوقت ، تتغيّر بالزيادة والنقصان، وبالضعف والقوة، فليس وفرة العناصر فقط تتيح الحضارة، ولكن

ما توفّر لها من الشروط والخصائص الضرورية لذلك وإلاّ تعطلت هذه العناصر عن أداء دورها وتختلف عن بلوغ هدفها[1] .

ولكي تتوحّد هذه العناصر الثلاثة المتناثرة، وتبعث فيها الحياة وتنمو وتكوّن كائنا حضاريا حيّا كالإنسان يمرّ بنفس مراحل حياة الإنسان، ويخضع لنفس مقاييس ضعفه وقوّته، وليتحقّق ذلك لا بدّ من توفّر الفكرة الدينية التي يعتبرها مالك بن نبي العنصر المازج والمركّب لعناصر الحضارة الثلاثة فالفكرة الدينية هي:«التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ»[2] .

ليست الحضارة الإسلامية فقط أو التاريخ الإسلامي، بل كل تاريخ وكل حضارة عرفتها البشرية إلا وكانت وراءها فكرة دينية، فقوّة التركيب والمزج لعناصر الحضارة خالدة منذ القدم إلى اليوم في جوهر الدين[3].سواء كان الدين سماويا او غير سماوي، فالانبعاث والتركيب الحضاري لا يكون إلاّ بعقيدة دينية منبعثة ويؤمن بها، سواء كانت عقيدة سماوية كالإسلام والمسيحية أو غير سماوية كالبوذية والبرهمية[4] .إنّ ميلاد الحضارة عند مالك بن نبي ليس مرهونا بوفرة عناصرها، لكن الزيادة على ذلك مرهون بفكرة دينية وخروجها للوجود، فهذا هو الميلاد الأول للحضارة، أمّا الميلاد الثاني للحضارة فهو دخول الفكرة الدينية في أحداث التاريخ بعد دخولها الأنفس التي آمنت بها[5] .

---

[1]- ابن براهيم الطيب : مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ، ص198.

[2]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص46.

[3]- آمنة تشيكو : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي ، ص50.

[4]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص50.

[5]- المصدر نفسه، ص55.

ينظر مالك بن نبي إلى العلاقة الروحية بين الله والإنسان بأنّها هي التي تلد العلاقة الاجتماعية بين الإنسان وأخيه الإنسان، وكلما كانت العلاقة الدينية قويّة

كلما قلت درجة الفراغ الاجتماعي، وهنا يستشهد مالك بن نبي بقوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم انَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[1].

وبقوله صلى الله عليه وسلم:« **المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِن كَالبُنْيَان يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا**»، إنّ هذا هو تأثير الفكرة الدينية الاجتماعية عند مالك بن نبي[2] .

إنّ الفكرة الدينية دائما هي التي تقوم بالتركيب الاجتماعي في شكل قيم أخلاقية وعادات وتقاليد وقواعد إدارية ومبادئ تشريعية وغيرها[3] .

فالدين هو مركّب القيم الاجتماعية [4]، والفكرة الدينية هي التي تخلق الشبكة الروحية التي تربط المجتمع بالإيمان بالله فيكون الدين: « يربط أهداف السماء بضرورات الأرض »[5].

---

[1]- سورة الأنفال :الاية63 .

[2]- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص53.

[3]- المصدر نفسه، ص60.

[4]- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص28.

[5]- المصدر نفسه، ص54.

فالفكرة الدينية عند بن نبي مرتبطة بشروط يجب توفّرها في المكان الذي وجدت به، وإلاّ هجرته إلى مكان آخر لتبحث لها عن ذلك الشروط الضرورية كما حدث للفكرة المسيحية التي هاجرت من ارض فلسطين لتستقرّ بروما، وهنا خلاف الفكرة الإسلامية التي وجدت في ارض فلسطين لتستقرّ بروما، وهنا خلاف الفكرة الإسلامية التي وجدت في ارض خصبة وقبائل على فطرتها تقبّلتها، بينما الفكرة المسيحية وجدت في ارض شهدت ازدحاما ثقافيا ودينيا، فهاجرت لتنمو في مكان آخر« وهذه الحالة ترينا أن تأثير فكرة دينية معيّنة رهن ببعض رهن ببعض شروط الجغرافية الإنسانية فإذا لم تجدها في موطنها هاجرت لتجدها في مكان آخر »[1] .

لقد نشأت المسيحية وسط خليط من الديانات والثقافات كالعبرية والرومانية واليونانية، أمام هذا الزّحام الفكري والثقافي لم تدخل إلى القلوب إلاّ بعد هجرتها وبلوغها بداوة الجرمان في شمال أوربا فوجدت نفوسا شاغرة فتمكّنت منها وسكنتها لتندفع بها في التاريخ[2] .

وإدراكا لأهمية الدين في بناء الدّول والحضارات ولدوره في مزج العناصر الحضارية، يستشهد مالك بن نبي بميثاق طرابلس الذي وضعته الجزائر فور استقلالها والذي سجّلت فيه أن الإسلام من بين مبادئها الأساسية وذلك: علما منها إنها تستمد منه الشرارة الضرورية لتركيبة الإنسان والتراب والوقت[3].

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص54.
[2]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص55.
[3]- مالك بن نبي : القضايا الكبرى ، ص62.

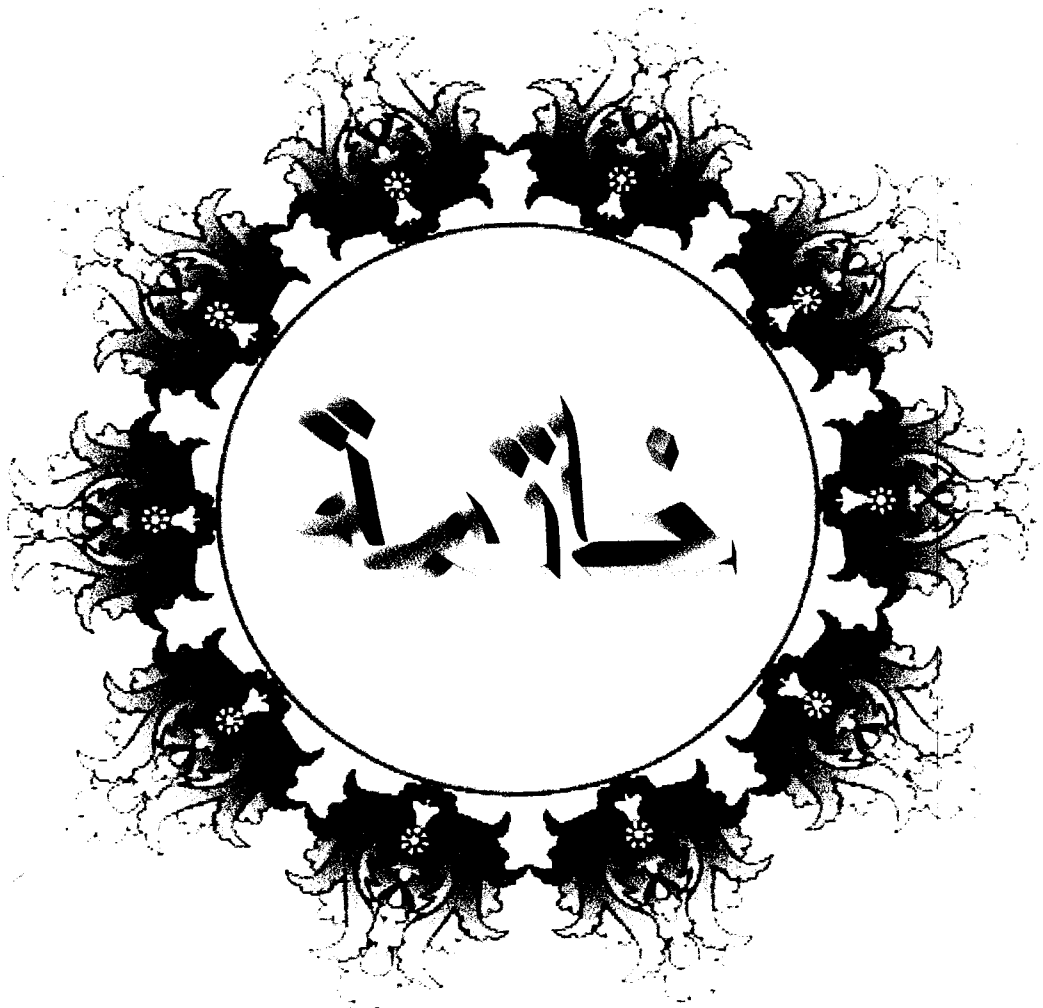
خاتمة

الحمد لله الذي أعاننا على إتمام هذه الرسالة، ونرجو أن يكون عملنا هذا خالصا لوجه الله الكريم، وان يكون خطوة في السير على المنهج العلمي الصحيح

وفي ختام هذه الرسالة أشير إلى أهم النتائج المتوصّل إليها :

– يعدّ مالك بن نبي من أعلام النهضة الإسلامية، وابرز مفكّر عني بالفكر الحضاري، وقد ساهمت عدّة مصادر في تشكيل فكره وصياغته أهمها:

– الثقافة العربية الإسلامية : بما فيها التنشئة الأسرية والمدرسية، وتأثره بالحركات الإصلاحات الإسلامية، كما يعدّ القرآن الكريم الدافع الروحي والأساس الأول في تكوين شخصيته .

– الثقافة الغربية: استمدّ ثقافته من المدرسة الفرنسية كما طالع الصّحف والمجلات الغربية وقرأ للمشاهير والأدباء الغربيين.

– كان مالك بن نبي داعيا مؤمنا يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكّر ومنطقه وحماسه الداعية المؤمن وقوة شعوره .

– وهو شاهد للقرن، عاش مرحلة الاستعمار ومرحلة التحرّر والاستقلال معا، فتميز أثناء ذلك بمواجهة الصعاب والابتلاءات والتحدّيات، كما انه واكب الإحداث والتحوّلات الحاصلة في القرن العشرين.

— ويرى أن الحضارة تولد من رحم الأمة وأصالتها وقيمها وخصوصيتها الثقافية، ولا يجب إن تستورد من الخارج إلا بتصفيتها، وإخضاعها لهذه الأصالة والقيم الخصوصية.

— والحضارة عنده أيضا هي التفاعل الجدّي بين الإنسان والتراب والوقت والمركّب الحضاري أو الدين أو الفكرة الدينية هي التي تسهم في تفعيل المعادلة الحضارية.

— وفي تصور مالك الإنسان هو العنصر الفاعل في العملية الحضارية، به يناط كل تغيير فكري وحضاري في المجتمع بشرط أن يوجّه الثقافة بفكره، والعمل بعمله، ورأس المال بماله.

— ويظل مالك بن نبي مفكّرا مثيرا للجدل والنقاش في محيط الثقافة كما تظل كتاباته محورا للجدل والنقاش في مساحة واسعة للأخذ والعطاء فقد حاول مالك بن نبي أن يجتاز بفكره كل عوائق التقدّم والحضارة لدى أبناء الأمة الإسلامية وهو احد المفكرين المعاصرين القلائل في العالم الإسلامي الذين خصّصوا عمل حياتهم وجهودهم وقدّموا عصارة فكرهم في محاولة لفهم المشكلات الحضارية التي يعاني منها العالم الإسلامي.

— فكر مالك بن نبي لم يكن فكرا محليا وإنما فكرا عالميا.

وأخيرا نرجو من الله تعالى العون والسّداد والتوفيق والوصول إلى المستوى العلمي الرفيع في هذه الرسالة، محقّقين النتائج المرجوّة التي يرضى عنها أساتذتنا العلماء والله ولي التوفيق.

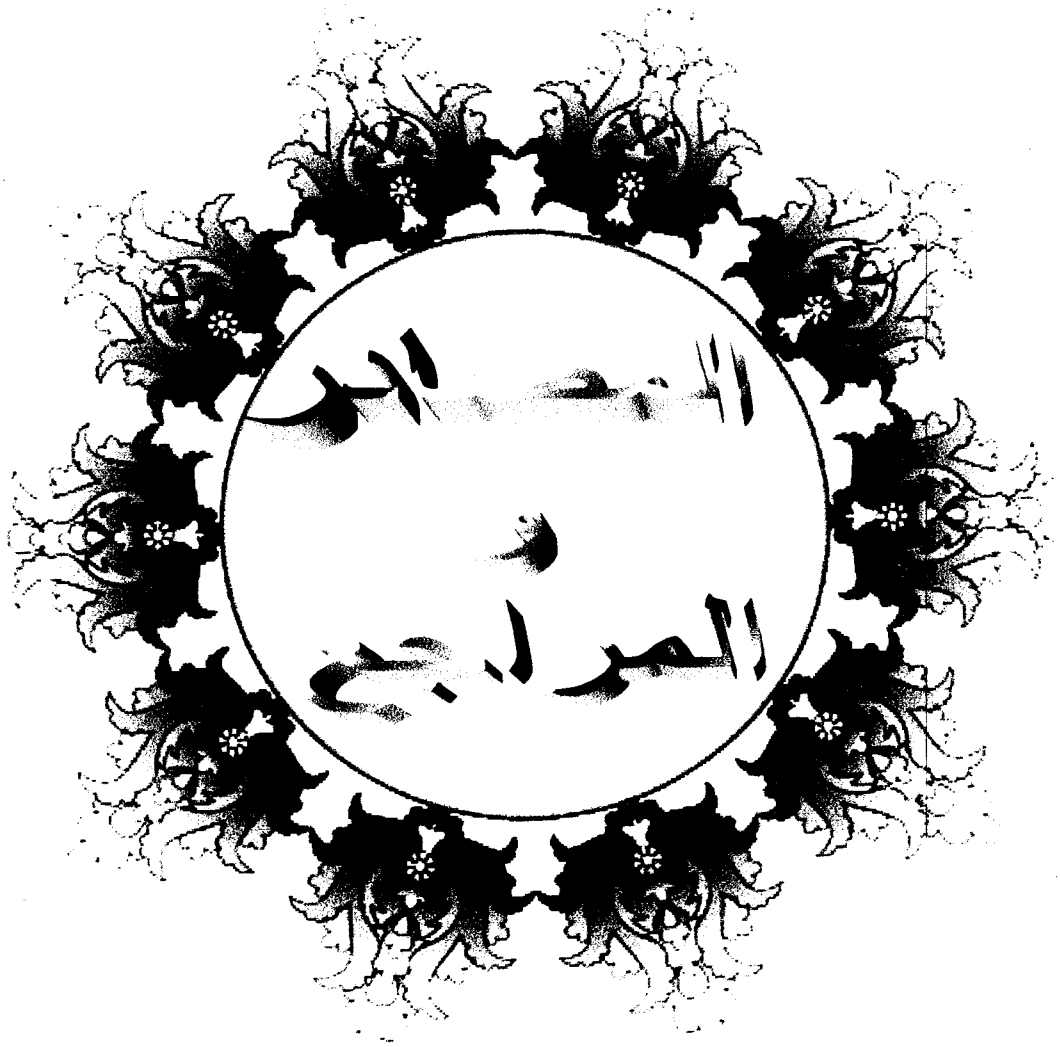
المراجع

القرآن الكريم (برواية ورش)

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

— مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، دار الفكر(د.ط)، لبنان1983.

— مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر، دمشق، ط2، 2006.

— مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1986.

— مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة واحمد شعبو، دمشق، دار الفكر، ط1، 1988.

— مالك بن نبي: آفاق جزائرية: مكتبة عمّار، القاهرة1971.

— مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر(د.ط)، دمشق1971.

— مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد، المكتبة العصرية، بيروت(د.ت)

— مالك بن نبي: الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط1، دمشق 1986.

— مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دمشق(د.ط)، دار الفكر1986.

— مالك بن نبي: القضايا الكبرى، دمشق، دار الفكر، ط1، 1991.

— مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق(د.ط)، دار الفكر1986.

— مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، بيروت،(د.ط)، دار الفكر1972.

— مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط4، 1984.

— مالك بن نبي: الصراع في البلاد المستعمرة، دار الفكر1960(د.ط).

— مالك بن نبي: في مهب المعركة، دار الفكر، ط1، القاهرة1961.

— مالك بن نبي: فكرة كمنويلث إسلامي، دار الفكر، ط2، 1990.

— مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر1954(د.ط).

— مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، دار الفكر1978(د.ط).

— مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مكتبة عمار، القاهرة 1970(د.ط).

— عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1978.

المراجع:

- آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار مدني1989.

- احمد بناسي: المدخل إلى فكر مالك بن نبي، الجاحظية، الجزائر، ط1، 2006.

- اسعد السّحمراني: مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، بيروت، دار النفائس، 1986 .

- بن براهيم الطيب: مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وافكار مشتركة، دار مدني. - حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ط2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت1998.

- زكريا فؤاد: الإنسان و الحضارة في العصر الصناعي، ط2، دار الترجمة.

- زكي ميلاد: مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دراسة تحليلية ونقدية، دار الفكر، ط1، 1998.

- عبد اللطيف عبادة: صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، باتنة، ط1، 1984.

- فهمي جدعان: نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشروق، الأردن، ط1، 1985.

- فوزية بوريون: مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دمشق، دار الفكر2010.

- فيصل عباس: الفلسفة والانسان، جدلية العلاقة بين الانسان والحضارة، دار الفكر العربي، بيروت ط1، 1996.

— محمد رياض: الانسان دراسة النوع والحضارة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1974.

— محمد فريد وجدى: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثامن، بيروت، دار المعارف، ط3.

— مولود عويمر: مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته وعطاؤه الفكري، تيزي وزو (د.ط)، 2007.

— نورة خالد السّعد: التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دراسة في بناء النظرية الاجتماعية، دار السعودية، ط1، 1997.

المعاجم:

— إبراهيم مصطفى، احمد الزّيات: المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة.

— الشيخ احمد رضا: معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، ج2، بيروت1958.

— جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، بيروت 1971.

المجلات والرسائل:

— مالك بن نبي: مشكلة الحضارة، الأصالة، العدد 54—55 ربيع الاول1398، فبراير1978.

— محمد العقبى: مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير، غزة، 2005.

— علي القريشي: مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وسيد قطب، مجلة الهلال، سبتمبر1986.

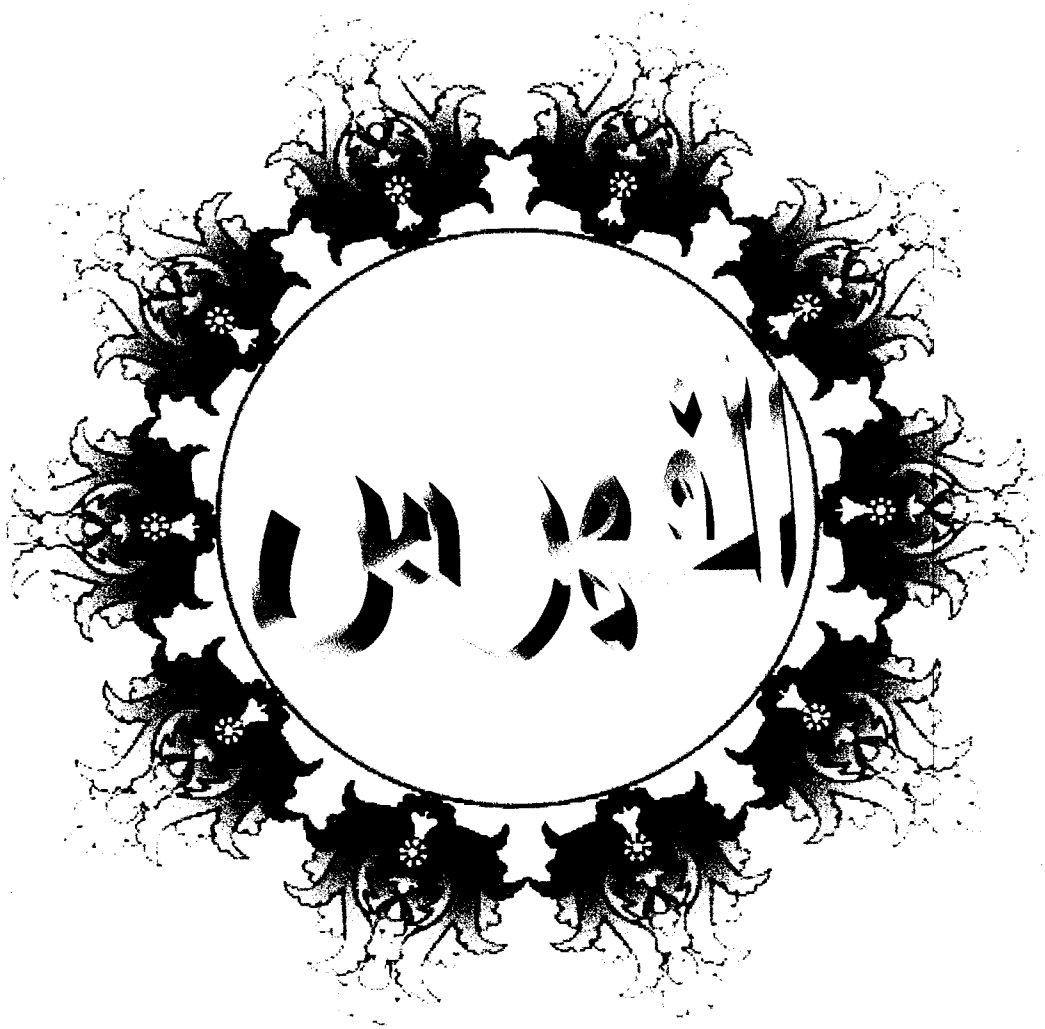
الفهرس

الفـــــهـــــرس

العـــــنـــوان	رقم الصفحة
دعـــــاء	
شكر وتقدير	
إهـــداء	
مقدمة	
مدخل: ماهية الحضارة	01
الفصل الأول: حياته وآثاره	15
أولا: ترجمة حياته	15
1- مرحلة الطفولة (1905-1930)	15
2- المرحلة الباريسية (1930-1956)	17
3- المرحلة القاهرية (1956-1963)	19
4- مرحلة العودة إلى الجزائر (1963-1973)	20
ثانيا: مؤلـــفاتـــه	22
ثالثا: أقوال العلماء فيه	29
الفصل الثاني: المشارب الحضارية لمالك ابن نبي	32
أولا: الثقافة العربية الإسلامية	32
ثانيا: الثقافة الغربية	36

الفصل الثالث: مفهوم الحضارة عند مالك ابن نبي	39
أولا: مفهوم الحضارة عند مالك ابن نبي	40
ثانيا: عناصر الحضارة	48
1- الإنسان	49
2- التراب	53
3- الوقت	56
ثالثا: الدين وعناصر الحضارة	58
خاتمـــة	63
المصادر والمراجع	65